اللعب ونظرية الـ "دويندي"

JUEGO Y TEORÍA DEL DUENDE

عنوان الكتاب: اللعب ونظرية الـ "دويندي"

JUEGO Y TEORÍA DEL DUENDE

اسم المؤلف: فدريكـــو غارثيا لوركـــا

ترجمة وتقديم : أحمد يعقوب

المراجعة اللغوية: دار الفراعنة للنشر

رقم الإيداع: 2020/23640

الترقيم الدولي: ISBN: 978-977-6780-91-1

محمول: 01006141645

تـ: 0239769176

رئيس مجلس الإدارة: إكرام عيد

المدير العام: م عادل التوتي

المدير التنفيذي: عزة إبراهيم

فدريكو غارثيا لوركا

اللعب ونظرية الـ "دويندي"

JUEGO Y TEORÍA DEL DUENDE

ترجمة وتقديم: أحمد يعقوب

محاضرات

دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة

مقدمة

يُقدم الشاعر العالمي لوركا في هذه المحاضرة فلسفته الجمالية عن شعرية الإبداع، التي يمكن أن نسميها "نظرية لوركا الشعرية"، ويحاول البرهنة على سر التألق والتجلي والتميز، بل التفرد في فضاءات الإبداع، وذلك بأدلة ووقائع حيَّة من لحم ودم ومجسَّدة وملموسة في الشعر والموسيقى والرقص ومصارعة الثيران وغيرها من فنون الإبداع.

أما عن اللعب، فهنا نجد لعبًا لا تألفه قواميس اللغة أو الألسنيين.. إنه لعب لا علاقة له بالظاهر الفيزيائي لمعان مفردة اللعب المحض، إنه لعب إبداعي روحي يتجلى في مظاهر متباينة ومختلفة... ليس لعبًا من أجل المتعة مثل لعبة الضوء على المياه، أو الخداع، أو ألعاب الكلام، أو النوايا، أو القدرة، أو لعبة فرصة ثروة جيدة أو سيئة. إنه لعب بالمأساة، فهنا نجد مطربة تلعب بصوتها... وراقصة فلامنكو تلعب بجسدها، ومصارع ثيران يلعب بحياته.

وبيقينية متشككة وشك يقيني، يحاول لوركا الكشف عن السر الحقيقي للابتكار والخلق الإبداعيين، ويسمي ذلك السر بـ"دويندي" (Duende). ولا يقدم لذلك تفسيرًا دلاليًا/ سمينطيقيًا ولا لغويًا بمفردات مرادفة، بل تبقي معاني الـ"دويندي" كامنة في سياق أسطوري، نفسي، أنثروبولوجي، جغرافي، جمالي، فلسفي، وجودي،

ميتافيزيقي، في سياق الوعي الجمعي الإنساني وإدراكه للموت والحياة. فالأندلسيون، كل الأندلسيين، يتحدثون عن: "دويندي" المقترن بمصارعة الثيران، وبرقصة الفلامنكو، [1] وبالغناء الغجري، بحيث تتوحد هذه المجالات في عنصر أساسي، وهو أن المؤدي لهذه الألوان الفنية يقترب في أدائه من الموت في لحظة تجليه، بل يقترب من نهاية الوجود.

يقدم لوركا شروحًا وتفصيلات لل"دويندي"، يستنبطها ويستنتجها من وقائع فنية تاريخية في نتاج الإبداع المتميز وغير المتميز. ويشدد على ضرورة عدم الالتباس بين ال"دويندي" وربة الإلهام أو الوحي أو الملاك أو العفريت الديني أو الشيطان اللاهوتي، وكذلك يؤكد على ضرورة عدم المقارنة أو المقاربة بينها وبين ال"دويندي"، لأن "دويندي" لوركا هو "قوة غامضة تسري في الدم...".

وإذا سمح لي القارئ بأن اجتهد في اختيار مرادف لل"دويندي" في اللغة العربية، فإنني أقول:

لقد سمحتْ لي ظروفي في تعلم الإسبانية من قراءة محاضرة لوركا وأنا طالب في الجامعة. اكتفيت آنذاك بترجمتها ب"ملكة" (من الملكات الفنية الإبداعية). فمصدر كلمة (duende) في اللغة الإسبانية هو (dueño) أي "مالك"، وتوقفت عند ذلك منتشيًا

---

[1] فلامنكو (بالإسبانية: Flamenco) هو أداء فني يقوم على أساس الموسيقى والرقص والغناء. ارتبط الفلامنكو بالغجر، وأسسوا ما يسمى بالفلامنكو كمظهر من مظاهر الألم التي يشعر بها الناس بعد إبادة ثقافتهم. البعض يربط اسم هذه الموسيقى بطائر الفلامنكو.

بشاعرية المحاضرة... لهذا ربما لم أبحث عنها في العربية، ولا أعرف إن كانت مترجمة إلى العربية أم أن المترجمين العرب أغفلوها ربما لصعوبتها. وهنا سأُبقي المفردة كما يذكرها لوركا، أي بالإسبانية، لإبقائها في سياق معانيها كما أراد الشاعر.

في الترجمة هنا أبقيت النص على صياغته، فكأن لوركا يكتبها للشعراء فقط! في لغة شاعرية متألقة ومنمقة من قاموسه الفانتازي المفعم بالحسية السحرية. وكأنه يشعر بالموت، فيقدم أروع ما في عالمه الوجودي. ليحيا في موته. فهو يتلاعب باللغة بـ"دويندي لوركَوي". يقدم ويؤخر كما يشاء. ويطيل الجمل الاعتراضية ويقصرها كما يشاء، بل إنه يصوغها وكأنها جملة شعرية واحدة أو قصيدة مدورة، معطيًا للتنقيط والترقيم معاني جديدة، ولا يضع إشارات الاستفهام حيث يجب وضعها، ربما ليقينيته المتفردة بالدويندي.

كما يمكننا اعتبار هذه المحاضرة بمثابة الملحمة الشعرية غير المعروفة للوركا، ملحمة تاريخية رائعة في ثرائها الشعري واكتنازها لفانتازيا خرافية تنتقل من الدراما إلى التراجيديا إلى الكوميديا. ويختزل فيها روائع الإبداع الإنساني منذ ثور آشور إلى ثيران الأندلس ومن خمار ميدوسا[2] إلى راقصة الفلامنكو. وعند لوركا هنا لم تعد أساطير

---

[2] كانت ميدوسا في البدء بنتا جميلة، غير أنها مارست الحب مع بوسيدون في معبد آثينا وهذا ماجعل آثينا تغضب، فحولتها إلى امرأة بشعة المظهر كما حولت شعرها إلى ثعابين وكان كل من ينظر إلى عينيها يتحول إلى حجر. وبما أن ميدوسا كانت قابلة للموت فقد تمكن برسيوس بمساعدة هرمس، حسب الميثولوجيا

الإغريق والرومان والأديان مجرد مراجع يتكئ عليها، إنما يبعث من موتها حياة أجمل وأكثر رونقًا وتألقًا. بالشكل الذي يمَكِّننا من اعتبار هذه المحاضرة أهم ما كتب عن تاريخ الإبداع المتميز في تاريخ الإبداع.

وأنا أقدمها للمكتبة العربية بكل سعادة، فإنني وضعت هوامش لم يكن الشاعر قد وضعها، وذلك احترامًا مني لقارئ سيقرأ لأول مرة عن لوركا وعن إبداع الشعوب الأخرى.

أحمد يعقوب

غزة

الإغريقية، من القضاء عليها وقطع رأسها لما نظر إلى صورة انعكاسها في درع آثينا، وأهدى رأسها لآثينا التي كانت قد ساعدته وقامت بوضعه على درعها المسماة بالأيغيس. أنجبت ميدوسا من بوسيدو طفلين.

نص المحاضرة

التي ألقاها الشاعر فدريكو غارثيا لوركا

في الأرجنتين عام 1933، ثم في هافانا

السيدات والسادة

منذ عام 1918، حيث التحقت بسكن مدريد الجامعي، حتى عام 1928 حيث هجرته وقد انتهت دراستي في الفلسفة والآداب، كنت قد استمعت في ذلك الصالون الممجوج، حيث كانت تتردد لتصحح انفلاتها على الشاطئ الفرنسي، العجوز الأرستقراطية الإسبانية، استمعت لأكثر من ألف محاضرة.

برغباتٍ من هواء وشمس، كنت قد مللت كثيرًا، إذ عند الخروج كنت أشعر بأنني مغطى برمادٍ خفيفٍ كاد يصل إلى نقطة التحول إلى فلفل أسود للتهييج.

لا. أنا لم أكن أرغب في أن تدخل الصالة، تلك الذبابة الكبيرة الباعثة على الملل، التي تلضم كل الرؤوس بخيط خفيف من الحلم، وتضع في عيون المستمعين مجموعات صغيرة جدًا من وخزات الدبابيس. بشكل مبسط، وفق السجلات[3]، أن في صوتي الشعري لا توجد أنوار خشبية، ولا لفات من نبات الشكران[4]، ولا نعجات

[3] المقصود هنا سجلات وكشوفات عضوية الكتاب أو التي تعترف بشاعريتهم.

4 الشكران نبات سام تجرعه الفيلسوف سقراط يوم إعدامه بالسم.

تصبحن فجأة سكاكين سخرية، سأرى إن كنت قادرًا على إعطائكم عِبرًا بسيطة حول الروحِ المخفية لإسبانيا المألومة.

ما هو كائن في جلد الثور (ما في الجلد)5 الممتد بين أنهار الخوكر، والغواداليتي، وسيل، أوفيسويرغا6. (لا أريد اقتباس الدفق مع الموجات التي بلون لجة الأسد، الذي يرجرج الفضة).

(الجلد...) كثيرًا ما يتكرر القول: "هذا لديه الكثير من الدويندي." كان فنان الشعب الأندلسي الكبير مانويل توريس قد قال لمغنٍ كان يغني: "لديك صوت جميل وتعرف المقامات وأطوار الغناء، لكنك لن تنجح؛ لأنك لا تملك دويندي." في الأندلس قاطبة، من صخرة خايين، 7 إلى محارة قادش، 8 يتحدث الناس بشكل دائم عن ال"دويندي"، ولديهم القدرة على اكتشافه حين يصدر من الموهبة الفطرية الفعَّالة.

---

5 ما بين القوسين () في المتن هو إضافة قام بها المترجم لضرورات تسهيل القراءة.

6 Júcar نهر يقع في غرب إسبانيا، Guadalete نهر يقع في جنوب اسبانيا، Sil نهر يقع في الشمال الغربي لشبه القارة الأيبيرية، Pisuerga نهر يمر من مدينة فالنسيا.

7 Jaén مقاطعة جيان (بالإسبانية خايين) هي إحدى مقاطعات إسبانيا، تقع في الجزء الجنوبي من البلاد، وفي الجزء الشرقي لمنطقة الأندلس، ويحدها كل من مقاطعة قرطبة ومقاطعة غرناطة.

8 غادِش أو قادِس، واحدة من أعرق المدن الإسبانية الساحلية في جنوب الأندلس، وهي عاصمة مقاطعة قادس.

المغني الرائع، الغجري، إل ليبريخانو9 مبدع غناء الدبلة، 10 كان يقول: "الأيام التي أغني فيها بـ"دويندي" لن يكون باستطاعة أحد أن يتحداني"، الراقصة العجوز الغجرية لا مالينا، 11 هتفت يومًا ما وهي تستمع لـ"برايلوسكي"، 12 وهو يعزف مقطوعة لباخ: "أُوليه! هذا لديه دويندي". وكانت تتململ مع غلوك، 13 وبرامس، 14 ومع داريوس ميلهاود.15

---

[9] Diego Fernandez “El Lebrijano”: من مؤسسي غناء الفلامنكو وكذلك غناء يسمى الدبله.. (ليبريخو نسبة إلى ليبرخا إحدى ضواحي اشبيلية.)

[10] Debla: مفردة غجرية تعني "ربة" أو "سماء براقة".

[11] من أشهر راقصات الفلامنكو.

[12] Alexander Brailowsky: موسيقي أوكراني/فرنسي (1876–1976) عازف بيانو، تخصص في عزف مقطوعات شوبان، ولد في كييف بأوكرانيا، في الثامنة من عمره درس عند فلاديمير بوشالسكي، دخل كونسرفتوار كييف وتخرج في سن الـ15 سنة ونال الجائزة الذهبية، ثم تابع دراساته في فينا وزيوريخ، أخيرًا في فرنسا حيث نال جنسيتها. ألف أول سيمفونية له في عام 1919، ابتكر أساليب جديدة للعزف. توفي في نيويورك عن عمر 80 سنة متأثرًا بالتهاب رئوي.

[13] Christoph Willibald Gluck.(1787 –1714) مؤلف موسيقي ألماني :

14 يوهانِسْ برامس (بالألمانية: Johannes Brahms)؛ (1833–1897)، مؤلف موسيقي ألماني، من أصحاب المدرسة الرومنتيقية. أهم ما قيل عنه أنه استمرار لبيتهوفن؛ أي أن السيمفونية الأولى لبرامس يمكن اعتبارها السيمفونية العاشرة لبيتهوفن، ولم يكن كالرومانتيقيين في نزواتهم العاطفية، فقد كان يخشى أن تشغله المرأة عن فنه.

[15] Darius Milhaud 1974 – مؤلف موسيقي فرنسي (1892 مارسيليا/ فرنسا : جنيف) اشتغل على موسيقى الجاز.

مانويل توريس الرجل الأكثر ثقافة، (ثقافة تسري) في الدم، ممن عرفت، قال، وهو يستمع إلى (فايا)16 نفسه في معزوفته العريف يفقد ليلته، هذه الجملة الرائعة: "كل من يمتلك أصوات غناء سوداء يمتلك الديويندي". ولا توجد حقيقة أكبر.

هذه الأصوات السود هي اللغز، الجذور التي تغرز في الوحل الذي نعرفه جميعًا. ويجهله جميعنا، لكن من أين يصلنا ما هو الجوهر في الفن.17 أصوات سود، قال الرجل الأكثر شعبية في إسبانيا وتوافق مع غوته، 18 الذي يصنع تعريفًا للدويندي عند الحديث عن باغانيني، 19 قائلًا: "قوة غامضة يشعر بها الجميع ولا يفسرها أي فيلسوف".

هكذا، إذن، الدويندي، هو قدرة وليس اشتغالًا، وهو صراع وليس تفكيرًا. أنا كنت قد سمعت عجوزًا أستاذًا في الغيتار يقول: "الدويندي ليس موجودًا في الحنجرة، الدويندي يرتفع من

---

[16] Manuel de Falla : مؤلف موسيقي إسباني (1876– 1946) ولد في قادش إسبانيا وتوفي في الأرجنتين، يعتبر من أهم الموسيقيين الإسبان في بداية القرن العشرين.

[17] لا توجد هنا إشارة استفهام.

[18] يوهان فولفجانج جوته، أديب ألمانيا العظيم؛ وأحد أشهر أدباء ألمانيا المتميزين، الذي ترك إرثًا أدبيًا وثقافيًا ضخمًا للمكتبة الألمانية والعالمية، وكان له بالغ الأثر في الحياة الشعرية والأدبية والفلسفية.

[19] نيكولو باغانيني (1782 – 1840) عازف كمان وكمان متوسط وغيتار وملحن إيطالي. كان أحد الموهوبين على الكمان، وترك بصمته كإحدى ركائز تقنية الكمان الحديثة. كابريس رقم 24 في ايه ماينور هي من بين أفضل مؤلفاته، وكان بمثابة مصدر إلهام للكثير من الملحنين البارزين.

الداخل من أخمص القدمين"؛ أي أنه ليس مسألة كفاءة، إنما نمط حياة معاش وحقيقي، أي من الدم، أي من ثقافة غابرة، من خلق بالأداء.

هذه الـ"قوة غامضة يحس بها الجميع ولا يفسرها أي فيلسوف" هي، في المحصِّلة، روح سلاسل الجبال، إنها الدويندي ذاته الذي عانق قلب نيتشه، 20 الذي بحث عنه بأشكاله الخارجية فوق جسر ريالتو، 21 أو في موسيقى بيزيه، 22 ولم يعثر عليه، ودون معرفة أن الدويندي الذي كان يطارده كان قد قفز من الألغاز الإغريقية إلى راقصات قادش، أو إلى صرخة ديونوسية مسفوحة بـ"سيغيريا"23 سيلبيريو. 24

---

[20] فريدريك فيلهيلم نيتشه (1844 – 1900) فيلسوف وشاعر ألماني، كان من أبرز الممهدين لـ علم النفس، وكان عالم لغويات متميزًا. كتب نصوصًا وكتبًا نقدية حول المبادئ الأخلاقية، والنفعية، والفلسفة المعاصرة، المادية، والمثالية الألمانية، والرومانسية الألمانية، والحداثة، بلغة ألمانية بارعة.

[21] الجسر الذي يعبر القناة الكبرى في مدينة البندقية/إيطاليا، يعتبر أقدم وأهم جسور المدينة.

[22] Georges Bizet (1838– 1875) مؤلف موسيقي فرنسي، ينتمي إلى الفترة الرومانسية.

[23] Seguiriya، وهو غناء تراجيدي يعكس معاناة الحب والموت. وعندما تغنى، يتم الاستغناء عن الآلات الموسيقية وتؤدى فقط مع عصى الفلامنكو... تعتبر العامود الفقري لغناء الفلامنكو.

[24] Silverio Franconetti Aguilar (1831–1899) يعتبره كثيرون: المغني الأفضل لكل الأزمان، ينسب له غناء السيغيريا، التي وضع بصمته عليها، من

هكذا، إذن، لا أريد لأحد أن يلتبس عليه الدويندي بشيطان اللاهوت عن الشك، حيث لوثر، 25 وبإحساس عربيد، رماه بجرة حبر في نورمبيرغ، 26 ولا مع العفريت الكاثوليكي، المدمِّر وقليل الذكاء، الذي يتنكر مثل كلبة ليدخل الأديرة، ولا مع القرد المتكلم الذي يحمله ترجمان سيرفانتس، 27 في كوميديا الغيرة وأدغال الأندلس.

لا، الدويندي الذي أتحدث عنه، غامق، مقشعِر، منحدر من غبطة شيطان سقراط28 تلك، رخام وملح حيث مطعونًا بكرامته حزته مخالب ذاك اليوم الذي تجرع فيه سم الشوكران.

أشهر أغانيه: افتحي الأرض.. أريد الموت.. أن أحيا كما أنا عليه من حياة.. أفضل الموت.

[25] مارتن لوثر (1483 – 1546)، مصلح ديني مسيحي ألماني شهير، يعد الأب الروحي للإصلاح البروتستانتي.

[26] نورنبيرغ مدينة ألمانية بولاية بافاريا. اشتهرت في التاريخ الحديث بسبب محاكمات نورنبيرغ للنازيين بعد الحرب العالمية الثانية.

[27] ميغيل دي ثيربانتِس سابيدرا (1547– 1616) هو كاتب أسباني. اشتهر بروايته "دون كيشوت دي لامانشا" أو (دون كيخوت) (1605–1615)، وهي شخصية مغامرة حالمة تصدر عنها قرارات لاعقلانية. تركت حياة "ثيربانتِس" الحافلة بالأحداث أثرًا بليغًا في أعماقه، وتجلى ذلك في طغيان روح السخرية والدعابة على أعماله.

[28] "سقراط" (469–399 ق.م) فيلسوف يوناني كلاسيكي. يعتبر أحد مؤسسي الفلسفة الغربية، لم يترك سقراط كتابات، وجل ما نعرفه عنه مستقى من خلال روايات تلامذته عنه.

ومن الشيطان الثاني الصغير المصاب بالملونخويا، شيطان ديكارت، 29 صغير مثل لوزة خضراء، بحيث، متخمًا بالدوائر والخطوط، خرج عبر القنوات ليسمع غناء البحارة السكارى.

كل إنسان، كل فنان يسميه نيتشه، كل درجة يصعدها في قلعة اكتماله هي على حساب الصراع الذي يدعمه بـ" دويندي"، ليس بوساطة ملاك، كما قيل، ولا بوساطة ربة إلهام. من الدقة بمكان أن نضع هذا التمييز الأساسي لجذور العمل.

الملاك يقود ويقدم الهدايا مثل القديس رفائيل، يدافع ويجنّب مثل القديس ميغيل، ويمنع مثل القديس غابرييل.

الملاك يبهر، لكنه يطير فوق رأس الإنسان، يكون في الأعالي، يسكب نعمته، والإنسان، بلا أي جهد، يحقق عمله أو تعاطفه أو رقصته. ملاك طريق دمشق، الذي دخل من بين شقوق شرفة أسيز، (ربما يقصد (Francisco de Asis) ت)، 30 أو الذي

---

[29] رينيه ديكارت (1596 –1650)، فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ"أبو الفلسفة الحديثة"، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، التي ما زالت تدرس حتى اليوم، وبخاصة كتاب (تأملات في الفلسفة الأولى–1641)

[30] فرنسيس الأسيزي أو (فرانسيسكو دي أسيس – فرانسيسكو بيرناردوني) ينحدر من مدينة أسيس 26 أيلول 1181– 3 تشرين الأول 1226 لقب كقديس في الكنيسة الكاثوليكية، جاء من عائلة تعمل في التجارة ويعتقد أن أمه فرنسية الأصل، ووالدة كان يسمى بيدرو بيرنادوني. في أسيس عرف بفرانسيسكو (تصغير لكلمة فرنسي أو الفرنسي الصغير). سافر فرانسيسكو إلى إسبانيا، أفريقيا، وكانت فترتها

يتبع خطوات إنريك سوسسون، 31 يأمر ولا توجد وسيلة لمعارضة أضوائه، لأنه يرج جناحيه الفولاذيتين في أجواء المقدر.

ربة الإلهام تُملي، وفي بعض المناسبات، تنفخ. تقدر على القليل نسبيًا، لأنها قد أصبحت بعيدة ومتعبة جدًا (أنا رأيتها مرتين)، بحيث كان عليّ أن أضع لها نصف قلب من الرخام.

الشعراء ذوو الربات يسمعون أصواتًا ولا يعرفون أين هي، لكنها للربة التي تغذيها وأحيانًا تأخذها في نزهة.

كما في حالة أبولينير، 32 شاعر عظيم، دمرته ربة مريعة وبها رسمه الملائكي الرباني روسو، 33 ربة الإلهام توقظ الذكاء، تجلب مناظر بأعمدة ومذاقًا زائفًا للغار، الذكاء في كثير من المرات هو عدو الشعر، لأنه يقلد بشكل زائد، لأنه يرفع الشاعر إلى مرابح حادة

تمر بلاد الشام بالحملات الصليبية، وأسس ما يسمى (أحكام القديس فرانسيسكو). علم المحبة للناس أجمع واحترامهم، وكان يحترم الحيوانات والنباتات، وكان يحث على الرفق بها، وكان يناديها بالأخوة وبمساواة للشتاء، والريح، والنار، ويحترم جميع الديانات.

[31] Enrique Suso صوفي الماني (1300–1366) شاعر غنائي ملحمي، ومن الشعراء التروبادور، بحث في القيم الروحية والنفسية لفلسفة ايكهارت. نشرت أعماله في العصور الوسطى.

[32] Guillaume Apollinaire الشاعر والروائي الفرنسي (1880–1918) أول من استخدم مصطلح السوريالية.

[33] جان جاك روسو (28 حزيران 1712–2 تموز 1778) فيلسوف سويسري، كان أهم كاتب في عصر العقل. ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية.

الحواف ويجعله ينسى أنه فجأة سيقدر النمل على التهامه، أو قد يسقط في رأس لانغوستا ضخمة من الزرنيخ، في مواجهة ذلك لا تقدر عليه الربات الموجودات في عدسات القراءة للأغنياء، 34 أو الموجودة في زهرة الورنيش الحار في الصالة الصغيرة.

ملاك وربة يأتيان من الخارج، الملاك من الأنوار، والربة من الأشكال. (هسيود35 تعلم منهما).

خبز الذهب (أوراق الذهب) أو ثنيات السترات، الشاعر يتلقى معايير في أيكه الغاري. في المقابل، يجب إيقاظ الـ"دويندي" في الغرف الأخيرة للدم. ورفض الملاك وإعطاء ركلة للربة، وإسقاط خوف عبير البنفسج الذي يزفر الشعر في القرن الثامن عشر، و(خوف. ت) التلسكوب الضخم الذي بين بلوراته تنام الربات مريضة بالتحديدات.

الصراع الحقيقي يكون مع الـ"دويندي"

معروفة تلك الدروب للبحث عن الله، منذ النمط البربري للنسك إلى النمط الرقيق للتصوف.

بقلعة واحدة مثل القديسة تيريسا، أو بثلاثة طرق مثل سان خوان دي لا كروث.36 ومع أنه علينا أن نصرخ بصوت "أشعيا":37

---

34 العدسة الدائرية التي توضع على عين واحدة.

35 Hēsíodos شاعر شفاهي إغريقي يُعتقد أنه أول عالم اقتصاد إغريقي.

36 San Juan de la Cruz (1542 –1591) شاعر صوفي، منذ عام 1952 يعتبر عرّاب شعراء اللغة الإسبانية.

"حقيقة أنت رب مختبئ"، وفي النهاية يأمر الله للذين يبحثون عنه عوسجة أولى من النار.

للبحث عن الـ"دويندي" لا توجد خارطة ولا جيش. المعلوم فقط أنه يحرق الدم كأنه مادة من زجاج، وأنه يَستنفد، وأنه يرفض كل حلاوة الهندسة التي تعلمناها، وأنه يحطم الأنماط، وأنه يجعل غويا، 38 الأستاذ في الرماديات، في الفضيات وفي الألوان الوردية، الأفضل في الرسوم الإنكليزية. يرسم بركبتيه وبقبضتي يديه بالأسود المريع للقار، أو ما يعري موسين ثينتو برداغير39 في برد البرانس، 40 أو يأخذ خورخي مانريكي41 لينتظر الموت عند بارمو دي أوكانيا، 42 أو يزور ببذلة خضراء لمهرجي السيرك (يزور. ت) الجسد النحيل لرامبو،

---

[37] الكتاب المقدس إشعيا.

[38] فرانشيسكو دي غويا (1746– 1828) كان رسامًا ونحاتًا إسبانيًا، عكس فنه الاضطرابات السياسية والاجتماعية في زمنه.

[39] Jacinto Verdaguer اسمه الحقيقي لكنه يعرف بـ *Mossèn Cinto Verdaguer J*". شاعر ورجل دين إسباني (برشلونة 1845 –1902)، وفي 21 آذار 1886، توجته المطرانية كشاعر أول لكاتالونيا، زار بيت لحم والقدس في رحلة حج إلى الأراضي المقدسة.

[40] البرانس سلسلة جبلية تقع جنوب غرب أوروبا، بين فرنسا وإسبانيا وتمثل الحدود الطبيعية بينهما.

[41] Jorge Manrique شاعر اسباني كلاسيكي (1440–1479).

[42] páramo de Ocaña: تقع شمال شرق مقاطعة طليطلة، وتمتد على طول هضبة ضيقة ولكنها عالية، وتربط الجنوب والشرق مع بقية سهول لا مانشا.

43 أو يضع عيون سمك ميت للكونت لوترياмон44 عند الفجر في البوليفار.

الفنانون العظماء في جنوب إسبانيا، غجريون أو فلامنكيون، منذ أزمان يغنون ويرقصون ويعزفون، يعرفون أن أية عاطفة ليست ممكنة بدون دويندي. هم يخدعون الناس ويمكن أن يقدموا أحاسيس دويندي لكن من غير دويندي، كما يخدعكم في كل الأيام مؤلفون أو رسامون أو خياطو موضة أدبية من غير دويندي، لكن قليلًا من التركيز يكفي. ولا تتركوا أنفسكم تؤخذون باللامبالاة، من أجل كشف الفخ وجعله يهرب مع اصطناعاته الخشنة.

مرة "المطربة" الأندلسية باستورا بافون، (طفلة الأمشاط)، 45 ظلُ عبقرية هيسبانية، 46 تعادل من حيث الطاقة الفانتازية غويا،

---

[43] آرثر رامبو (1854– 1891) شاعر فرنسي أثرت أعماله على الفن السريالي. بدأ كتابة الشعر في سن السادسة عشره، وتميزت كتاباته الأولى بطابع العنف. وكانت آخر أعماله الشعرية بعد أن بلغ من العمر 19 عامًا. بعد اعتزاله الأدب= =قرر رامبو في عام 1875 السفر إلى إثيوبيا والعمل كتاجر. توفي في مارسيليا بفرنسا في عام 1891 بعد أن بترت ساقه.

[44] الكونت لوترايامون وهو اللقب الذي كان يكتب باسمه ايزيدور دوكاس. شاعر فرنسي (1846–1870)، يعتبر لوترايامون أول من كتب قصيدة النثر، وذلك في كتابه (أناشيد مالدورو) 1867.

[45] Pastora María Pavón Cruz (إشبيلية 1890– 1969) مغنية فلامينكو، تعتبر من أهم الأصوات في تاريخ هذا الغناء، بدأت الغناء في الثامنة من عمرها، لقبت بطفلة الأمشاط نسبة لأغنية تقول: مشط شعرك بأمشاطي... فأمشاطي

47 أو رافائيل الغايو، 48 كانت تغني في إحدى حانات قادش. كانت تلعب بصوتها الظليل، بصوتها المصبوب من القصدير، بصوتها المغطى بالطحالب. وكانت تربكه بخصلات شعرها، أو كانت تبلله بنبيذ البابونج، أو كانت قد أضاعته في غابات مظلمة وبعيدة. لكن لا شيء، ولا جدوى، ظل المستمعون صامتين.

هناك كان إغناثيو اسبيليتا، رائع مثل سلحفاة رومانية، وقد سألوه مرة: "كيف لا تعمل؟"، وهو، بابتسامة تليق بـ"أرغانتونيو"، 49 أجاب: "كيف أذهب للعمل، وأنا من قادش؟". هناك كانت إليوسا، الأرستقراطية اللهلوبة، عاهرة إشبيلية، تنحدر مباشرة من عائلة

مصنوعة من السكر... من بأمشاطي يتمشط... حتى الأصابع يمصها... مشط شعرك بأمشاطي... فأمشاطي مصنوعة من القرفة.

[46] كل من يتكلم الإسبانية في العالم.

[47] انظر، هامش 38.

[48] Rafael Gómez Ortega (1882- 1960) مصارع ثيران، الأكثر عبقرية في تاريخ هذه المصارعة في إسبانيا، بدأ المصارعة وهو في عمر 9 سنوات. لقب بالغايو (الديك) ولا حقا لقب بالأصلع الرباني.

[49] Argantonio (670 ق م – 550 ق م) آخر ملوك التارتيسوس، تارتيسوس، وهو الاسم الذي عرف به الإغريق أول حضارة في الغرب وريثة الثقافة المغليثية في جنوب غرب البلاد الأيبيرية في المثلث المتكون من مقاطعات أونبة، وإشبيلية وقادش، على الساحل الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة الأيبيرية.

سوليداد براغاس، 50 وهي في الثلاثينيات من العمر لم تقبل الزواج من أحدهم من عائلة روتشيلد51 لأنه لا يساويها في الدم.

هناك كان "لوس فلوريداس"، الذين يعتقد الناس أنهم قصابيون، لكن في الحقيقة هم كهنة قدماء يتابعون تقديم الثيران كأضاحي لـ"جيرون"، 52 وفي زاوية، هناك، مربي الماشية المتنفذ بابلو موروب بأجواء أقنعة كريتية.53

---

[50] من أشهر العائلات الارستقراطية.

[51] عائلة روتشيلد بالإنجليزية (Rothschild family) هي إحدى العائلات ذات الأصول اليهودية الألمانية، واللقب "روتشيلد" يعني "الدرع الحمراء"، في إشارة إلى "الدرع" التى ميزت باب قصر مؤسس العائلة في فرانكفورت في القرن السادس عشر.

[52] Gerión: وحش عملاق، في الأساطير الإغريقية، له ثلاث هيئات بثلاثة رؤوس وأطراف عدة تتصل فيما بينها باتصال خطي أو شعاعي. عاش في جزيرة "أريتيا " ما وراء أعمدة هركليس إلى الغرب من البحر المتوسط. كانت لديه ثروة حيوانية من الأبقار والثيران الحمراء... سرقها هركليس.

[53] أقنعة كريت كانوا يضعونها على وجوه الملوك عند موتهم.



قناع كريتي أو قناع أغامنون

باستورا بافون54 انتهت من الغناء وسط الصمت. فقط، وبسخرية، قال رجل قصير جدًا، من أولئك الراقصين الذين يخرجون فجأة من زجاجات البراندي (الماء الحارق)، بصوت خافت جدًا: "تحيا باريس!"، كأنه يقول: "هنا لاتهمنا الكفاءات، ولا التقنيات، ولا الأستذة. تهمنا أشياء أخرى".

عندها، وقفت "طفلة الأمشاط" مثل مجنونة، متقطعة الأوصال مثل نائحة من العصور الوسطى، وشربت وبدفقة واحدة كأسًا كبيرة من مشروب العرق نوع غزالة من غير خلطه بالماء، وكان

[54] انظر هامش 45.

مثل النار. وجلست تغني بلا صوت، بلا نفس، بلا ظلال، وبحنجرة متجمرة، لكن... بـ "دويندي".

حققت قتل كل سقالات وتدرجات الأغنية لتفسح ممرًا إلى دويندي غاضب ومجمر، صديق الرياح، محمَّل بالرمال، الذي جعل المستمعين يمزقون بذلاتهم تقريبًا مع الإيقاع ذاته الذي يكسر به زنوج الأنتيل شعائرهم ناكثين شعرهم أمام القديسة باربارا.

كان على "طفلة الأمشاط" أن تجعل صوتها يدمع لأنها كانت تعرف أن ثمة أناسًا متأنقين يسمعونها، لا يطلبون نمطًا إنما نخاع الأنماط، موسيقى نقية مع جسد واسع النطاق ليتمكن من بقائه في الهواء. كان عليها أن تفقر إمكاناتها واطمئناناتها، يعني، كان عليها أن تبتعد عن ربتها وتبقى بلا رحمة، ليأتها الـ"دويندي" وتتنازل ليستوعبوا.

وكيف غنت! صوتها لم يعد يلعب، صوتها كان نزيف دم يليق بألمها وإخلاصها. كان يفتح كأنه يد بعشرة أصابع لأقدام مسمَّرة، لكن مليئة بعاصفةٍ، مسيح خوان دي خوني.55

---

[55] Juan de Juni: (فرنسا 1506- إسبانيا 1577) نحات فرانكو- إسباني مؤسس مدرسة النحت الإسبانية. في 1565، نحت قوس استقبال الملكة إليزابيث عند مدخل الوادي الكبير.



المسيح للفنان خوان دي خوني

مجيء الدويندي يتطلب دائمًا تغييرًا جذريًا في كل الأنماط والأشكال للخطط القديمة، يعطي مشاعر نضارة غير معروفة أبدًا، مع نوعية زهرة نبتت لتوها، من معجزة، تصل لتنتج حماسة قد تكون دينية تقريبًا.

في كل الموسيقى العربية، الرقص، والغناء أو المراثي، فإن وصول الدويندي تتم تحيته بصيحات قوية: "الله!، الله!". وهذا قريب جدًا من "ole" "أوليه!" التي تقال مع مصارعة الثيران، من يدري ربما تكون الشيء نفسه، وفي جميع أغنيات جنوب إسبانيا فإن ظهور الدويندي يكون متبوعًا بصيحات صادقة: "يحيا الله!" (الله الدايم)، عمق، إنساني، صراخ حنون للتواصل مع الله بالحواس الخمس، بفضل الـ"دويندي" الذي يهيِّج صوت الراقصة وجسدها، إنه تهرُّب حقيقي

وشاعري من هذا العالم، تهرُّب نقي كالذي حققه الشاعر النادر في القرن السابع عشر بيدرو سوتو دي روخاس56، من خلال سبع حدائق، أو تهرب خوان كاليماكو57، من خلال نوبة بكاء وارتعاش.

طبيعيًا، عندما يتحقق هذا التهرب، يشعر الجميع بآثاره: في البدء، يُرى مثل النمط الذي يهزم مادة فقيرة، والجاهل، فيه عدم معرفة المشاعر الأصيلة.

منذ سنوات، في مسابقة للرقص في خيرث دي لا فرونتيرا، 58 نالت الجائزة عجوز ثمانينية بمنافسة نساء رائعات وفتيات لهن خصر من ماء. وكان المطلوب أن ترفع الذراعين، وتُنصب الرأس وتفعل ضربة واحدة بالقدم فوق الطبلية، لكن في اجتماع الربات والملائكة اللاتي كن متواجدات هناك، جمال في الشكل وجمال في البسمة، كان عليها أن تفوز وربحت ذاك الدويندي المميت الذي سحبته على الأرض أجنحتُها من سكاكين متأكسدة.

كل الفنون قابلة للدويندي، لكن حيث يوجد مجال أكبر، كما هو طبيعي، يكون في الموسيقى، في الرقص وفي الشعر المحكي،

---

[56] Pedro Soto de Rojas: شاعر إسباني من غرناطة (1584–1658).

[57] Juan Calimaco: (سوريا 575–649) راهب اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية قديسًا، له كتاب بعنوان السلم نحو الجنة.

[58] Jerez de la Frontera: شَرِيش (الملقبة بـ الفَرَنتِيرةِ أي الحدود) تقع في مقاطعة قادس في الأندلس. تشتهر بصناعة نبيذ الـ شيري (Sherry).

كل ذلك يحتاج إلى جسد حي قادر على ترجمتها. لأنها أشكال تنولد وتموت بشكل مؤبد، وتطلق معالمها على دقة الوقت الحاضر.

مرات عدة، فإن دويندي الموسيقي ينتقل إلى دويندي المؤدي، ومرات أخرى، عندما الموسيقي أو الشاعر لا يكونان متماثلين، فإن دويندي المؤدي، وهذا مهم، يخلق رائعة جديدة يكون لها في مظهرها، فقط، الشكل المشاعي. هذا هو حال صاحبة الدويندي اليانور دوسي، 59 التي بحثت عن أعمال فاشلة لتجعلها تنتصر، بفضل ما اخترعته هي، أو في حالة باغانيني، التي شرحها غوتا، الذي جعل من بذاءات سوقيين حقيقيين ألحانًا عميقة تُسمع، أو حالة فتاة حلوة من بويرتو دي سانتا ماريا، 60 التي رأيتها تغني وترقص الكوبلية الإيطالية المقززة "أو ماري". بإيقاعات، وسكتات وإيحاءات حولت سلة المهملات الايطالية إلى هالة منتصبة لأفعى من ذهب.

---

[59] Eleanor Duse: (1858- 1924) أعظم ممثلة مسرح في إيطاليا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لقبت بالربانية، حققت شهرة كبيرة لأدائها أعمال الكاتب النرويجي هنريك ابسن. يروى أنها ولدت في مقصورة قطار. ومثلت على المسرح في عمر 4 سنوات. في الـ14 من عمرها مثلت دور جوليت لشكسبير.

[60] Puerto de Santa Maria: مدينة ايل بويرتو دي سانتا ماريا 10 كيلومترات إلى الشمال الشرقي من قادش.

وما جرى، في الواقع، أنهم وجدوا شيئًا ما جديدًا لم يكن له علاقة بالشيء السابق، حيث وضعوا دمًا حيًا وعلمًا فوق أجساد فارغة من التعبير.

كل الفنون، وكذلك البلدان، لديها إمكانات الدويندي، والملاك والربة، هكذا مثل ألمانيا لديها، باستثناءات، ربات، وإيطاليا لديها ملاك بشكل دائم، كما أن إسبانيا تتحرك في كل الأزمان بدويندي، كبلد للموسيقى والرقص منذ القدم، حيث الدويندي يعصر ليمونات الفجر، وكبلد موت، كبلد مفتوح على الموت.

في كل البلدان، فإن الموت هو نهاية. يصل وتغلق الستائر، في إسبانيا، لا. في إسبانيا تُرفع. أناس كثيرون يحيون هناك بين جدران حتى اليوم الذي يموتون فيه فيخرجونهم إلى الشمس.

ميت في إسبانيا هو حي أكثر منه ميتًا في أي مكان من العالم: ملفه الشخصي يجرح بمثل حد شفرة حلاقة. الطرفة حول الموت وتأمله الصامت أمران مألوفان للإسبانيين.

"منذ حلم الجماجم" لـ" كيفيدو"، 61 حتى الـ"مطران العفن" لـ"بالديس ليال"، 62 ومنذ (لا ماربيبا) القرن السابع عشر، التي ماتت في الولادة في منتصف الطريق، والتي تقول:

---

61 فرانسيسكو دي كيفيدو (1580–1645) سياسي وكاتب إسباني في العصر الذهبي الإسباني، كان واحدًا من أبرز الشعراء الأسبان في ذاك العصر. كتب في الشعر والسياسة والسخرية، منها روايته الواقعية عن التشرد وحياة الطبقات الدنيا وعنوانها: تاريخ دون بابلو دي سيجوفي المعروفة باختصار إل بوسكون.

"(نزيف) دماء أحشائي
يغطي (نعم موجودة) الحصان
أرجل حصانك
تضع نارًا من قطران...".
النادل الجديد لتوه في سلمنكا، 63 الذي يصيح:
"أيها الأصدقاء، إنني أموت
أيها الأصدقاء، أنا في حالة خفوت
ثلاثة مناديل في داخلي حشيت
وهذا الرابع أدخل...".

ثمة شرفة لزهور الملح الصخري، حيث يطل شعب من متأملي الموت، مع إصحاح من سفر إرميا في الجانب الأكثر هيجانًا، أو بعبق شجر السرو في الجانب الغنائي الملحمي، لكن بلدًا حيث الأكثر أهمية فيه أنه يمتلك قيمة أخيرة للموت بلون فضي معدني. معدن.

الشفرة وعجلة العربة، الموسى واللحى الواخزة للرعاة، والقمر الحليق، الذبابة، والخزائن الرطبة، والأقبية، والقديسون المغطون بالمخرمات، الجير والخطوط الجارحة للمزاريب، ومتفرجون لديهم في

---

[62] Juan de Valdés Leal (إشبيلية 1622–1609) رسام ونقاش إسباني اشتهر أيضًا بكتابته عن شعرية المأساة.

[63] سلمانكا (بالإسبانية: Salamanca) أو شلمنقة، مدينة تقع في مقاطعة قشتالة وليون في وسط شمال إسبانيا.

إسبانيا أعشاب صغيرة للموت، تلميحات وأصوات ملموسة من أجل روحِ يقظة، تدعونا الذاكرة بالهواء الصلد لعبورنا.

ليس مصادفة أن كل الفن الاسباني ملتصق بسلسلة جبالنا، مليء بعوسج وحجارة حاسمة، حسرة بيلبيريو. 64 ليست مثالًا معزولًا، ولا رقصات المايسترو خوسيف ماريا دي بالديبيسو، 65 ليس بغتة أنه من كل البالاد66 الأوروبية تتميز هذه المحبوبة الإسبانية:

(إن كنت صديقتي الجميلة

لم لا تنظرين إلي؟ قولي

العيون التي رأيتك بها

للظل أعطيتها

إن كنت حبيبتي الجميلة

كيف لا تقبلينني قولي

الشفاه التي قبلتك بها

---

[64] من نصوص كتاب ثيلستينا لمؤلفه Fernando de Rojas (1470 -1541) من مواليد طليطلة، كاتب مسرحي وروائي.تعتبر الثيلستينا من أهم الروايات الأدبية في العصور الوسطى وحتى عصر النهضة.

[65] Josef Maria de Valdivieso مهتم بالفلكلور الإسباني.

[66]شكل ثابت للأغنية المجاملة ظهرت نهاية العصور الوسطى في أوروبا، وتتطلب فصل الشعر عن الموسيقى لكن الموسيقى تصدر من القصيدة نفسها. والبالاد يتكون عادة من ثمانية مقاطع بالقافية نفسها، وتمييز بوجود جوقة تقوم بتكرار المقاطع، وهي تشبه الموشحات إلى حد كبير. وكقاعدة عامة، في القرون الوسطى تبدأ البالاد دائمًا مع كلمة الأمير.

للجبال أعطيتها

إن كنت حبيبتي الجميلة

كيف لا تحتضنينني قولي

الذراعان اللتان احتضنتك بهما

بالديدان غطيتهما). (هذه البالاد تعتمد على الجناس والطباق في اللغة الإسبانية التي يستحيل تماهيها مع اللغة العربية. ت)

ليس غريبًا في فجر غنائياتنا الملحمية أن تظهر هذه الأغنية:

(داخل البستان

سأموت

داخل مشتل الزهور

اقتلوني

كنت سأغادر، يا أمي

الأزهار أقطفها

سأجد الموت

داخل البستان

كنت سأغادر يا أمي

الأزهار أقصها

سأجد الموت

داخل مشتل الزهور

داخل البستان

سأموت

داخل مشتل الزهور

اقتلوني).

الرؤوس التي جمدها القمر التي رسمها ثوربان، 67 الأصفر الزبدي مع أصفر البرق لـ"الغريكو"، 68 حكاية الأب سيغوينثا، 69 أعمال غويا الكاملة، الأقواس المزخرفة في كنائس الإسكوريال70، جميع أعمال النحت المزخرفة بألوان عدة، قبو منزل الدوق أوسونا، 71 الموت مع الغيتارة في معبد البينبيتيس في مدينة الريوسيكو، 72

---

[67] (Francisco de Zurbarán) فرانثيسكو دي ثوربان (مدريد 1598–1664) رسام إسباني يعتبر رسام إسبانيا في العصر الذهبي.

[68] إل غريكو (El Greco، أي "الإغريقي" (1541 – 1614) ولد في مدينة كاندية (إيراكليون) بكريت/اليونان، اسمه الحقيقي دومنيكوس ثيوتوكوبولوس. رسام ديني ومصمم وناقش يوناني عاش معظم حياته في إسبانيا في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر. عرفت لوحاته بالطابع الديني، كان رسامًا ونحاتًا، ومعماريًا في عصر النهضة الأسبانية. وكان عادة يوقع على لوحاته بحروف يونانية لاسمه كاملًا مؤكدا أصله اليوناني.

[69] Fray José de Sigüenza فراي خوسيه دي سيغويثا (1544–1606) إسبانيا، مؤرخ وشاعر ولاهوتي بين القرنين السادس عشر والسابع عشر، يعرف بالأب بطرس السيغوينثي

[70] El Escorial ال اسكوريال الإقامة التاريخية لملوك إسبانيا في مدينة سان لورينثو دي ال اسكوريال، 45 كم شمال غرب العاصمة مدريد، يضم متحفًا كبيرًا ومدرسة، يعتبر اليوم القصر الملكي الإسباني.

[71] أُشُونَة (بالإسبانية Osuna) مدينة بمقاطعة إشبيلية في الأندلس ذاتية الحكم بجنوب إسبانيا.

كل هذا يعادل ما هو تعبدي في موجات الحجيج إلى القديس سان اندريس تيخيدو، 73 حيث الأموات يأخذون مكانًا في الموكب لأناشيد الدفن التي تغنيها نساء أستورياس، 74 بمصابيح مليئة باللهب في ليلة تشرينية، إلى النشيد ورقصة العرافة في كاتدرائيات مدينتي مايوركا، 75 وطليطلة، 76 في العتمة مع ذكريات طرطوشة77 (يكتبها الشاعر باللغة الكاتالانية.)، والطقوس التي لا تُحصى للجمعة

---

[72] Medina de Rioseco ميدينا دي ريوسيكو مدينة في الوادي الكبير يوجد فيها معبد لوس بينابيتي.

[73] San Andrés de Teixido سان اندريس دي تيخيدو قرية في مقاطعة غاليثيا/ إسبانيا. أخذت اسمها نسبة للقديس سان اندريس. تعتبر مكانًا للحج.

[74] أستورياس Asturias، مقاطعة في شمال إسبانيا، تتمتع بالحكم الذاتي. إلى جانب الإسبانية، تتحدث باللغة الأستورية المشتقة من اللاتينية، تشتهر أماكن تراثية عالمية ومنها خرج العديد من الشعراء والكتاب والمعماريين.

[75]. 74مَيُورَقَة كما كتبها المؤرخون المسلمون، Mallorca بالإسبانية، هي أكبر جزر إسبانيا في البحر المتوسط وجزء من أرخبيل جزر البليار كغيرها من جزر البليار، وهي أيضًا عاصمة منطقة الحكم الذاتي لجزر البليار.

[76] (بالإسبانية: Toledo)، مدينة إسبانية عرفت باسم طليطلة أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا. وهي عاصمة مقاطعة طليطلة ومنطقة قشتالة لا منتشا في وسط إسبانيا. وكان العرب يسمون طليطلة مدينة الأملاك لأنها كانت دار مملكة القوط ومقر ملوكهم.

[77] طرطوشة tortosino إحدى مناطق مقاطعة طركونة Tarragona الساحلية في إقليم كاتالونيا الإسباني.

العظيمة، 78 ومع طقوس مصارعة الثيران حد العبادة، 79 كل (ما سبق ذكره.) هذا يشكل النصر الشعبي للموت الإسباني. في العالم، فقط، المكسيك يمكن لها أن تشبك يدها مع يد بلادي.

عندما ترى ربة الشعر الموت يصل تُغلق الباب أو ترفع وطيدة قاعدة تمثال حجري أو تأخذ جرة الأورنا80 في نزهة.



جرة الأورنا

[78] جمعة الآلام هو يوم مقدس للمسيحيين، وهو يوم الجمعة الذي يسبق عيد القيامة في أسبوع الآلام. وهي ذكرى صلب يسوع المسيح كما يعتقد المسيحيون.

[79] مصارعة الثيران بالإسبانية، رياضة أسبانية قديمة تتم فيها المواجهة بين المصارع والثور في حلبة على مرأى ومسمع من الناس.

[80] جرة تستخدم لجمع رماد محرقة الأموات. وتعود إلى الحضارة الإتروسكانية، الاسم الحديث لحضارة عاشت في إيطاليا القديمة في منطقة توسكانا الحالية تقريبًا.

وتكتب على شاهدة قبر بيد من شهد، لكنها في الحال تعود لتمزق غارها بصمت يتأرجح بين نسمتين. تحت القوس المبتور لأغنية الحدا، تجمع (الربة) بشعور جنائزي ورودًا تشبه تمامًا ما رسمه إيطاليو القرن الخامس عشر. وتنادي ديك لوكريتوس81 المضبوط ليُرعب ظلالًا طارئة.

عندما يرى الموت آتيًا، الملاك يطير في دوائر بطيئة وينسج بدموع من ثلج ونرجس المرثية التي رأيناها ترتجف بين يدي كيتس، 82

---

[81] Tito Lucrecio Caro شاعر وفيلسوف روماني (99ق م – 55 ق م). صاحب أطول قصيدة تعليمية حول طبيعة الأشياء مكونة من 7400 مقطع، تبدأ بترنيمة للإلهة فينوس رمز الخصوبة، وتنتهي بمرثية عن الطاعون في أثينا.

[82] جون كيتس (1795 – 1821) شاعر إنكليزي، أصبح واحدًا من شعراء الحركة الرومنتيقية الإنكليزية المهمين في مطلع القرن التاسع عشر.

وفي فيّاساندينو83 وبين يدي إيريرا، 84 وبين يدي بيسكر، 85 وبين يدي خوان رامون خيمينث.86

لكن يا لرعب الملاك إن أحس برملة، مهما كانت صغيرة، على قدمه الطري المزهر!

في المقابل، الدويندي لا يأتي إذا لم يرَ احتمالات الموت، إذ لم يُعرف أنه يجب الطواف حول البيت، إذا لم يكن هناك ضمانة من أنه لا بد من هز هذه الأغصان التي يحملها جميعنا، التي ليس لها، ولن يكون لها عزاء.

بفكرة، بصوت موسيقي أو بإيماءة، يُحب الدويندي من البئر الحواف في صراع صريح مع المبدع. الملاك والربة يهربان مع آلة

---

[83] فيلاساندينو (بالإسبانية: Villasandino)، هي إحدى بلديات مقاطعة برغش، التي تقع في منطقة قشتالة وليون، شمال غرب إسبانيا.

[84] Fernando de Herrera فرناندو دي إيريرا (إشبيلية 1534–1597) شاعر وكاتب إسباني من العصر الذهبي لقب "بالرباني" يعتبر من أول المحدثين بالشعر الاسباني. وله كتابات شعرية نثرية بعنوان مراثي الحياة والموت.

[85] اسمه الحقيقي غوستاف دومينغيث باستيدا Gustavo Adolfo Domínguez Bastida، لكنه معروف باسم باكر، Gustavo Adolfo Bécquer (1836–1870) شاعر وراوٍ إسباني من الحركة الرومانسية مع أنه كتب بالواقعية، له تأثير أدبي قوي على الأجيال اللاحقة

[86] خوان رامون خمينث، Juan Ramón Jiménez Mantecón شاعر إسباني حائز على نوبل للآداب 1956، (1881 – 1958) ولد في الجنوب الغربي من إسبانيا... انتقل إلى العيش في مدريد عام 1900 حيث لفت وأبهر شعراء البلاد للروح الإسبانية الخاصة والمتجددة في شعره الرقيق.

الكمان أو بالبوصلة أو بالفرجار، والدويندي يجرح، وفي علاج هذا الجرح، الذي لن يلتئم أبدًا، يكون ما هو غير مألوف، وما هو مبتكر في عمل الإنسان.

تتألف الحقيقة السحرية للقصيدة في أن تكون دائمًا مسكونة بالدويندي لتُعمِّد بماء غامق كل الذين ينظرون إليها، لأنه مع الدويندي يكون من الأسهل أن نحب أن نفهم، وبالتأكيد أن تكون محبوبًا، أن تكون مفهومًا، وهذا الصراع من أجل التعبير ومن أجل تواصل التعبير يكتسب أحيانًا، في الشعر، سمات مميتة.

تذكروا حالة راقصة الفلامنكو العظيمة المسكونة بدويندي القديسة سانتا تيريسا، 87 وهي فلامنكية ليست لأنها تربط ثورًا هائجًا وتعطيه ثلاث تمريرات رائعة، وقد فعلتها، وليست لأنها تتباهى بأنها فاتنة أمام فراي خوان دي لا ميسيريا، 88 ولا بسبب صفعها بالكف للمبعوث البابوي، إنما بسبب كونها إحدى القليلات من المخلوقات ذات دويندي (وليست ذات ملاك، لأن الملاك لا يهاجم أبدًا) تتناقله بالنبال، تريد قتل نفسها لأنها نزعت سر الدويندي

---

[87] قديسة يسوع من كاتالونيا، كتب حياتها الرسام الإيطالي فراي خوان دي لا ميسيريا. ولقد كشف مؤخرًا عن مخطوطات هذه الكتابة وعن حالات تيه لهذه القديسة التي قالت كلامًا ناريًا في مدح الثناء. ويبدو أنها كانت مصارعة ثيران ومغنية فلامنكو كما يقول لوركا.

[88] رسام إيطالي أول من رسم القديسة تيريزا.

الأخير، الجسر الرقيق الذي يوحد الحواس الخمس مع هذا المركز في لحم حي، في غيمة حية، في بحر حي، من الحب المتحرر من الوقت.

امرأة شجاعة متفاخرة. قاهرة الدويندي، وثمة حالة مغايرة، حالة فيليبي دي أوستريا، 89 بحيث يتوق في البحث عن ربة وملاك في اللاهوت، وُجد مسجونًا بدويندي الاحتدامات الباردة في عمل الأوسكوريال، حيث الحلم يضع للهندسة حدًا لها، وحيث الدويندي يضع وجهًا صغيرًا لربةٍ من أجل عقاب أبدي للملك الأعظم.

قلنا إن الدويندي يحب الحواف، الجرح، ويقترب من الأماكن حيث الأشكال تنصهر في اشتياق عالٍ لتعبيراتها المرئية.

في إسبانيا (كما في شعوب الشرق، حيث الرقص هو تعبير ديني) يوجد للدويندي مجال بلا حدود فوق أجساد راقصات قادش.(اللواتي يمدحهن ممدوحات) مارثيال90 فوق صدور الذين يغنون، ممدوحو خوينال، 91 وفي كل الطقوس الدينية عن الثيران، الدراما الدينية الأصيلة حيث، وبالطريقة نفسها التي تتبع في صلوات الكنيسة، يتوثن الرب ويُضحى له.

---

[89] Felipe IV de Austria (1605–1665) الملقب بالعظيم أو بملك الأرض، كان ملكًا لإسبانيا منذ 1621 حتى وفاته.

[90] Marco Valerio Marcial (40 ب م – 106 ب م) ينحدر من Bílbilis بيلبليس قرب سرغسطة/إسبانيا. حوالي 64 م ذهب إلى روما لاستكمال دراساته القانونية بإشراف الرواقي سينيكا، حاول الانتحار وعاش حياة بوهيمية.

[91] Décimo Junio Juvenal (60 م –128م)، شاعر روماني من أنشط شعراء نهاية القرن الأول ميلادي وبداية القرن الثاني.

يبدو وكأن كل دويندي العالم الكلاسيكي يتزاحم في هذه الحفلة المثالية، مستعرضًا للثقافة وللحساسية العظيمة لشعب يكتشف في الإنسان أفضل غضبه، وأفضل نكده، وأفضل نحيبه. ولا في الرقص الإسباني ولا في الثيران يتسلى أحد، الدويندي يتحمل مسئولية خلق المعاناة بوساطة الدراما، فوق أشكال حية، ويهيئ السلالم إلى التهرب من الواقع المحيط.

الدويندي يشتغل على جسم الراقصة مثل الهواء على الرمال. يحول بقدرة سحرية فتاة إلى ممارسة قمرية، أو يملأ احمرار خديّ المراهقين إلى عجوز مبتور يطلب الصدقة في حانات النبيذ، يُعطي بكل شعرة رائحة ميناء ليلي، وفي كل لحظة يشتغل على الساعدين بعبارات هي أخشاب لرقصة الأزمان كلها.

لكن مستحيل أن يتكرر أبدًا، هذا أمر مهم جدًا يجب إبرازه. الدويندي لا يتكرر، كما لا تتكرر أشكال البحر في العاصفة.

في الثيران يكتسب لكنتهم الأكثر إدهاشًا، لأن عليه أن يتصارع، من جانب، مع الموت، الذي يمكن أن يدمره، ومن جانب آخر، مع الهندسة، مع القياس، قاعدة أساسية للحفلة.

الثور له مداره، ومصارع الثيران له مداره، وبين مدار ومدار ثمة نقطة خطورة، حيث يكون التقاء مدارات اللعبة الرهيبة.

يمكن امتلاك ربة مع عكازتين، 92 وملاك مع الرماح الصغيرة، 93 وأن تنتحل كمصارِع ثيران جيد، لكن صنعة الانقضاض أمام الثور الذي لا يزال نظيفًا من الدماء، وفي لحظة القتل، ثمة حاجة لمساعدة الدويندي ليعطي غرسة فنية حقيقية.

مصارِع الثيران الذي يرعب الجمهور في الساحة بتهوره ليس مصارع ثيران، إنما يكون في فضائحية بينة، كأي إنسان، بمقدوره أن يخاطر بحياته. في المقابل، مصارِع الثيران المعضوض بالدويندي يعطي درسًا لموسيقى فيثاغورثية ويفرض نسيان رمي القلب بثبات فوق القرون.

لاغارتيخو94 له دويندي روماني، خوسيليتو95 له دويندي يهودي، بيلمونت96 له دويندي من الباروك، 97 وكاغانتشو98 له

---

[92] العكازان اللذان يستخدمان نتيجة كسور في القدمين، ويتم وضعهما تحت الإبطين.

[93] الرماح الصغيرة التي يستخدمها مصارع الثيران لغرسها في جسد الثور.

[94] Rafael Molina Sánchez (قرطبة 1841-1900) مصارع ثيران متميز، لقبه Lagartijo "لاغارتيخو"؛ أي السحلية.

[95] José Gómez Ortega (Joselito) مصارِع ثيران متميز لقب أولًا بالغاييتو أي الديك الصغير، ثم بـ "خوسيليتو" وهو تصغير لاسمه خوسيه، (اشبيلية 1890-1920)، مات أثناء مصارعته لثور. كان رمزًا لما يعرف بالعصر الذهبي لمصارعة الثيران.

[96] Juan Belmonte (1892- 1962)، مصارع ثيران، الأكثر شعبية في تاريخ مصارعة الثيران، يعتبر مؤسسًا لها مع خوسيليتو، صاحب الثورة الأولى في فن مصارعة الثيران، فقبله كانت مصارعة الثيران تتطلب التغلب على اندفاع الثور

دويندي غجري، كلهم يُعلّمون، منذ شفق الطوق، شعراء ورسامين وموسيقيين، أربعَ طرق كبيرة من التقاليد الإسبانية.

إسبانيا هي البلد الوحيد حيث الموت هو مشهد وطني، حيث الموت يعزف بأبواق طويلة لوصول الربيع. وفنّها يكون دائمًا صلبًا بدويندي حاد منحها اختلافها ونوعيتها في الابتكار.

بالسيطرة على رجليه بشجاعة وسماح، لكنه ابتدع طريقة القيادة، التوقف، التأمل، الانقضاض ومن مسافة قصيرة جدًا بين المصارع والثور. فقد كانت نظرية المصارعة تقوم على قاعدة "إما تنزاح أنت وإما يزيحك الثور"، فأبدلها بـ"لا تزح أنت ولا ينزاح الثور".

[97] الباروكية هو مصطلح يستخدم لوصف الحركة الثقافية (التي تشمل الأدب والفلسفة والفن والموسيقى) في العصر الذي بدأ في نهاية القرن السادس عشر وانتهى في منتصف القرن الثامن عشر. ولذلك، يطلق اسم "الباروك" على الأحداث الفنية المتعلقة بالخيال الواسع. ومع ذلك، من وجهة نظر فنية، يتخلل هذه الحقبة النمط الكلاسيكي الذي كان عمومًا نقطة مرجعية مشتركة للفنانين من جميع الاتجاهات... يتميز فن الباروك بإظهار حركة زائدة وواضحة والتركيز على التفاصيل، بحيث توحي بطابع درامي وبجود توتر... بدأ ظهور هذا الطراز الفني في روما حوالي عام 1600.

[98] *Cagancho* Joaquín Rodríguez Ortega (اشبيلية 1903–المكسيك 1984). مصارع ثيران، غجري، تحول إلى أسطورة في مصارعة الثيران، عاش في المكسيك وتوفي فيها بعد أن مارس بتميز الكثير من مصارعة الثيران.

الدويندي الذي يملأ الدم، لأول مرة في النحت، في خديّ قديسي ماتيو مايسترو دي كومبوستيلا، 99 إنه نفسه الذي يجعل القديس سان خوان دي لا كروث100 يتأوه أو يحرق جنِّيات عاريات بالسونوتات101 الدينية لـ"لوبي".102

الدويندي الذي يرفع قلعة ساأغون، 103 أو يشتغل حجارة حارقة في كالاتايود، 104 أو تيروال، 105 إنه نفسه الذي يمزق غيوم الغريكو.106

---

[99] El Maestro Mateo en Santiago de Compostela (غرناطة 1150–1217) نحات ومعماري. اشتهر بأعماله الفنية في الكنائس والكاتدرائيات. نحت تماثيل للقديسين تكاد تنطق.

[100] San Juan de la Cruz (1542–1591) قديس إسباني من جماعة الكرمل الحفاة، شاعر صوفي، يعتبر عراب الشعراء الأسبان.

[101] السونيت (بالإنكليزية: Sonnet) مشتقة من الكلمة الإيطالية "sonetto" ومعناها "الأغنية الصغيرة". هي نوع من أنواع الشعر الغربي. في القرن الثالث عشر، أصبحت الكلمة تشير إلى قصيدة مشهورة من 14 شطرًا و11 مقطعًا تتبع قافية ووزنًا.

[102] Fray Filippo di Tommaso Lippi (1406–1469) رسام إيطالي برز في رسم المشاهد والمناظر الطبيعية بأناقة ألوانه.

[103] Sahagun قلعة ساأغون (حرف الهاء لا يلفظ بالإسبانية). إلى الجنوب الغربي من مقاطعة ليون الإسبانية. وفي هذه القلعة ساعة ضخمة.

[104] Calatayud مدينة من مقاطعة سرغسطة تشتهر بآثارها المعبرة عن فن رائع في بناء القلاع والكاتدرائيات والزخرفة المعمارية. إحدى هذه القلاع تسمى قلعة أيوب بحيث انتقلت هذه التسمية إلى اسم المدينة كال أت أيود.



قلعة بناها الموحدون

ويجعل غثاليين107 كيبيدو108 يدورون بالركلات، وكذلك حيوانات غويا الخرافية.

عندما تُمطر، يخرج بيلاثكيث109 ذو الدويندي، في السر، خلف ملوكه الرماديين. عندما تثلج تجعل ايريرا، يخرج عاريًا ليثبت أن

---

[105] Teruel مدينة إسبانية في مقاطعة أراغون تشتهر بقلاعها وأثارها المعمارية ومنها قلعة بناها الموحدون.

[106] انظر هامش: 67.

[107] غثاليين تعني الرجال الذين ينقلون الأوامر في مصارعة الثيران ويضبطون النظام (شريف).

[108] فرانسيسكو دي كيفيدو (1580 – 1645) سياسي وكاتب إسباني في العصر الذهبي الإسباني، كان واحدًا من أبرز الشعراء الأسبان في ذاك العصر. كتب في الشعر والسياسة والسخرية، منها روايته الواقعية عن التشرد وحياة الطبقات الدنيا وعنوانها: تاريخ دون بابلو دي سيجوفي المعروفة باختصار إل بوسكون. وعن "غثاليين كيفيدو" يقصد لوركا المجموعة القصصية لكيبيدو بعنوان غثاليين مسهم الشيطان.

البرد لا يميت. عندما تحرق، تُدخل بيرروغيتي110 في لهيبها وتجعله يخترِع فضاء جديدًا للنحت.

ربة غونغورا111 وملاك غارثيلاسو112 عليهما أن يطلقا أكاليل الغار عندما يمر دويندي سان خوان دي لا كروث، عندما يُنتهك الأيل في الربوة المطلة.

ربة غونثالو دي بيرثيو، 113 وملاك ارثيبريستي دي ايتا114 عليهما الابتعاد ليفسحا مجالًا لـ"خورخي مانريكي" 115

---

[109] دييغو رودريغز دي سيلفا إي بيلاثكيث (1599 – 1660) رسام إسباني من أشهر أعماله لوحة البابا إنوسنت العاشر (1650)، واستسلام بريدا (1635)، = =وخادمات الشرف (1656)، حيث تحتوي على تقنيات استثنائية وبراعة في استخدام الإضاءة. يعد من أشهر فناني الأسلوب الباروكي.

[110] Pedro Berruguete (1450–1503) رسام إسباني أهم من نقل الرسم من مدرسة غوتا إلى عصر النهضة في إسبانيا.

[111] Luis de Góngora y Argote (قرطبة 1561–1627) شاعر إسباني وكاتب مسرحي في العصر الذهبي، أصبحت كتاباته مدرسة سميت باسمه الغونغورية.

[112] غارثيلاسو دي لا فيغا (1503 – 1536) شاعر ينتمي إلى العصر الذهبي، بالإضافة إلى عمله في إيطاليا لدى جيش كارلوس الأول. يُعد غارسيلاسو واحدًا من أعظم الكتاب الأسبان في التاريخ.

[113] Gonzalo de Berceo (1197–1264) شاعر إسباني يعتبر أول شاعر عرفته اللغة الإسبانية، مع تشكلها القرن الثاني عشر الميلادي؛ أي عندما انتقلت اللغة الإسبانية من اللهجة اللاتينية.

عندما يأتي جريحًا من موت إلى أبواب قلعة بيلمونتي.

ربة غريغوريو إرنانديث، 116 وملاك خوسيه دي مورا117 عليهما الابتعاد كي يعبر الدويندي الذي يبكي دموعًا من دم في مينا، 118 والدويندي برأس ثور آشوري لـ"مارتينيث مونتانياس"، 119 وكما الربة المصابة بالمنولوخيا لكاتالونيا120 والملاك المبلل لغاليثيا121 لهما أن ينظرا، باندهاش محبب، إلى دويندي كاستييا، 122 بعيدًا جدًا عن

---

[114] Juan Ruiz ولقب بـ Arcipreste de Hita (1284–1351) شاعر وروائي إسباني أول من كتب رواية شعرية متنوعة الثيمات، تعتبر من أهم ما كتب في العصور الوسطى.

[115] Jorge Manrique (1440–1479) من أهم شعراء عصر النهضة في إسبانيا.

[116] Gregorio Hernández (1576–1636) نحات إسباني له أروع أعمال النحت الخشبي في عصر الباروك.

[117] José de Mora (1642–1724 قرطبة) نحات إسباني له أعمال متميزة للسيد المسيح ومريم العذراء والقديسين.

[118] نحات إسباني متدين صور آلام المسيح وصبره في النحت.

[119] Juan Martínez Montañés (اشبيلية 1568–1649) نحات إسباني تنتمي أعماله لعصر النهضة والباروك.

[120] تعتبر كتالونيا أحد بلدان أوروبا المُتوسطية وهي إحدى المُقاطعات الإسبانية السبعة عشر المتمتعة بالحُكم الذاتي والتي تشكل أراضي الدّولة الإسبانيّة.

[121] غاليسيا أو جليقية (Galicia) هي منطقة حكم ذاتي في إسبانيا.

[122] قشتالة (بالإسبانية: *Castilla*) مملكة سابقة تاريخية اندمجت تدريجيًا مع جيرانها لتصبح تاج قشتالة ثم مملكة إسبانيا لاحقًا.

الخبز الحار والبقرة الحلوة التي ترعى بأعراف سماء مكنوسة وجبال جافة.

دويندي "كيبيدو" ودويندي "ثيرفنتس"، 123 بشقائق نعمان خضراء(وليست حمراء) ومن كبريت للأول، وورودٍ من جص "رويديرا"124 للثاني، قد كللا إطار محراب دويندي إسبانيا.

كل فن لديه، كما هو طبيعي، دويندي بشكل ونمط مختلفين، لكن جميعها توحد جذورًا في نقطة، حيث تتدفق أصوات الغناء الأسود لـ"مانويل توريريس"، 125 مادة نهائية وعمقًا مشتركًا غير مسيطر عليه، مقشعرًا زنده الخشبي، اللحن، القماش، وأحرف النطق.

أصوات موسيقية سوداء، التي توجد خلفها، منذ حين بحميمية طرية، البراكيين. النمل، الصبَا، والليلة العظيمة تضغط الخصر بدرب التبانة.

السيدات والسادة:

لقد رفعت ثلاثة أقواس، وبيد خرقاء، وضعت فيهم الربة، والملاك، والدويندي.

---

[123] ميغيل دي ثيربانتِس سابيدرا (1547م– 1616م) هو كاتب إسباني. اشتهر بروايته "دون كيشوت دي لامانشا" أو (دون كيخوتى)، وهي شخصية مغامرة حالمة تصدر عنها قرارات لاعقلانية.

124 (Ruidera Lagunas) هي مجموعة من البحيرات الصغيرة في كامبو دي مونتيل، بين مقاطعة الباثيتي، ومقاطعة سيوداد ريال، إسبانيا.

[125] انظرهامش: 5.

الربة تستمر ثابتة هادئة، يمكنها امتلاك غلالة بثنيات صغيرة أو عيني بقرة تنظران في بومباي إلى الأنف الكبيرة للوجوه الأربعة التي رسمها صديقها العظيم بيكاسو.126 الملاك يمكنه أن يهز شَعر أنتونيو دي ميسينا، 127 غلالة ليبي وآلة الكمان لـ"ماسّولينو128 أو لـ" روسّو.

الدويندي... أين هو الدويندي؟. من القوس الفارغ يمر هواء معدني، بحيث ينفخ بإصرار فوق رؤوس الأموات، في البحث عن مشاهد جديدة ولكنات مجهولة، هواء برائحة لعاب طفل، بعشب متجعد وخمار ميدوسا، 129 التي تعلن التعميد الدائم للأشياء المبتدعة لتوها.

---

[126] بابلو بيكاسو رسام إسباني (1881- 1973) من أشهر رسامي العالم.

[127] Antonello da Messina (صقلية 1430-1479) رسام إيطالي، يعتبر أحد الذين أدخلوا التقنية التصويرية بالرسم الزيتي، جمع بين الثقافة التنويرية للفلامنكو مع الثقافة الإيطالية لنحت التماثيل.

[128] Masolino da Panicale (1383-1440) رسام ايطالي.

[129] ميدوسا كانت في البدء بنتًا جميلة، غير أنها مارست الحب مع بوسيدون في معبد آثينا، وهذا ما جعل آثينا تغضب، فحولتها إلى امرأة بشعة المظهر كما حولت شعرها إلى ثعابين وكان كل من ينظر إلى عينيها يتحول إلى حجر. وبما أن ميدوسا كانت قابلة للموت، فقد تمكن برسيوس، بمساعدة هرمس، حسب الميثولوجيا الإغريقية، من القضاء عليها وقطع رأسها لما نظر إلى صورة انعكاسها في درع آثينا، وأهدى رأسها لآثينا التي كانت قد ساعدته، وقامت بوضعه على درعها المسماة بالأيغيس. أنجبت ميدوسا من بوسيدو طفلين.

دردشة حول المسرح

فيدريكو غارثيا لوركا

الأصدقاء الأعزاء

قبل وقت قطعت وعدًا حازمًا أن أرفض أي نوعٍ من التكريمات؛ من الولائم أو الحفلات، التي تقام على شرف شخصي المتواضع.

أولًا: لأنني أفهم أن أي تكريم هو بمثابة وضع لبنة على قبرنا الأدبي.

وثانيا: لأنني رأيت أنه لا يوجد شكل أكثر إقفارا من الخطاب البارد على شرفنا. ولا توجد دقيقة أكثر حزنًا من التصفيق المنظم، حتى لو كان بحسن نية.

أيضًا، وهذا سر، أظن أن الوليمة ولفائف الخطابات المكتوبة على جلود الماشية يجلبان الفأل السيئ للرجل الذي يتلقاها. الفأل، والحظ السيئ ينولدان من السلوك المتعب للأصدقاء الذين يفكرون بطريقة " لقد رفعنا العتب معه".

المأدبة هي لقاء الأشخاص المحترفين، الذين يأكلون معنا، وأين هم، فرادى أو بالزوجِ، الأشخاص الذين يريدوننا بشكل أقل في الحياة.

بالنسبة للشعراء والدراميين، وبدلًا من التكريم، كنت سأنظم الهجمات والتحديات التي من خلالها عليهم أن يجيبوا بشراسة وبوحشية حقيقية على هذا: "أتحداك أنك لا تملك الشجاعة للقيام بهذا أو ذاك وأنك لا تستطيع أن تعبر عن لوعة البحر في شخصية مسرحية! وأنك لا تجرؤ على الحديث عن إحباط الجنود الأعداء في الحرب!"

حزمٌ وصراع، مع خلفية من الحب الشديد، تدوزنان روح الفنان، الذي يتأنث ويتشظى في الإطراء السهل.

المسارح تمتلئ بحوريات خادعة مكللة بزهور الدفيئة، والجمهور منتشيًا يصفق لرؤية قلوب من نشارة الخشب وحوارات من ورود الأسنان. لكن الشاعر الدرامي يجب ألا ينسى، إذا أراد أن يتخلص من النسيان، حقول الورود، يبللها الفجر، حيث يعاني المزارعون، وذكر طير الحمام، الذي جرحه صياد غامض، ينازع الموت بين القصب والخوص دون أن يسمع أحد أنينه.

وأنا أفرّ من الحوريات والتهاني والأصوات الكاذبة، لم أقبل أي تكريم بمناسبة العرض الأول لمسرحية إيرما **Yerma**؛ لكن تملكتني أعظم فرحة في حياتي القصيرة ككاتب مسرحي، عندما علمت أن عائلة مدريد المسرحية كانت قد طلبت من الممثلة مارغريتا إكسيرغو **Margarita Xirgu** العظيمة، ممثلة من تاريخ الفن الطاهر، ومن نجوم المسرح الإسباني ومبدعة رائعة للدور، مع

الشركة التي تدعمها ببراعة فائقة، تمثيل خاص لرؤيتها..هذا يعني الفضول والاهتمام بجهد مسرحي رائع.

الآن، ونحن مجتمعين، أنزع قبعتي وأقدم أصدق الشكر للجميع.

أنا لا أتحدث الليلة كمؤلف أو كشاعر، أو كطالب بسيط أمام البانوراما الغنية لحياة الإنسان، ولكن كواحدٍ من المتحمسين لمسرح العمل الاجتماعي.

المسرح هو واحد من الأدوات الأكثر تعبيرا وفائدة لبناء دولة، وهو المقياس الذي يحدد عظمتها أو انحطاطها.

يمكن للمسرح الحساس والموجه في جميع فروعه، من المأساة إلى الكوميديا اللاذعة، أن يغيّر في غضون سنوات قليلة حساسية الناس. أما المسرح المهشَّم، حيث الحوافر تعوض الأجنحة، فإنه يسفّه ويخدّر أمة بأكملها.

المسرح هو مدرسة للبكاء والضحك، ومنبر مجاني حيث يمكن للرجال أن يُخرجوا أخلاقا قديمة ويقدموها بتجديدٍ فعَّال؛ أو أخلاقا ملتبسة ويشرحون بأمثلة حية القواعد الخالدة للقلب والشعور بالإنسان.

الشعب الذي لا يساعد ولا يشجع مسرحه، إذا لم يكن ميتا فإنه يموت. كما أن المسرح الذي لا يلتقط نبض المجتمع، ونبض التاريخ، ودراما شعبه واللون الحقيقي لمشهده ولروحه، بالضحك أو

بالدموع، لا يحق له أن يسمى مسرحًا، بل غرفة ألعاب أو موقعًا للقيام بهذا الشيء الرهيب والذي يسمى "قتل الوقت".

لا أقصد أي شخص ولا أريد أن أجرح أحدا. لا أتحدث عن الواقع الحي، بل عن المشكلة المطروحة دون حل.

أسمع كل يوم، أيها الأصدقاء الأعزاء، حديثًا عن أزمة المسرح، وأعتقد دائمًا أن الشر ليس أمام أعيننا، ولكنه في أحلك جوهره. إنه ليس شرًا للزهرة الحالية، أو للأداء، ولكنه جذر عميق، وهو باختصار سوء تنظيم.

وطالما يكون الممثلون والمؤلفون في أيدي شركات تجارية بشكل مطلق، حرة وبدون أية رقابة أدبية أو حكومية من أي نوع، فإن الشركات التي تصوم عن كل المعايير ودون ضمانات من أي نوع، سوف تُغرق كل الممثلين والمؤلفين والمسرح بأكمله كل يوم أكثر، ولا خلاص ممكن.

المسرح الحلو للمجلات الخفيفة، عن الكوميديا السوداء والهزلية، والتي أنا مشاهد هاوٍ لها يمكنه الدفاع عن نفسه، بل إنقاذ نفسه. ولكن المسرح الشعري، النوع التاريخي وما يسمى بالزارزالجية الإسبانية (المسرحية الغنائية والمحكية)...كل هذا سوف يعاني كل يوم من المزيد من الانتكاسات، لأنها أنواع تتطلب الكثير وحيث تستقيم الابتكارات الصحيحة، ولا توجد سلطة أو روح مضحية لفرضهما على الجمهور الذي يجب ترويضه بالعليّ ومعارضته ومهاجمته في مناسبات عديدة.

يجب أن يُفرض المسرح على الجمهور وليس الجمهور على المسرح. لذلك، يجب على المؤلفين والممثلين أن يجددوا ارتداء الملابس، وأن يدفعو بالدم مقابل ذلك، وبمسئولية كبيرة لأن جمهور المسرح يشبه الأطفال في المدارس إنهم يعشقون المعلم الخطير والمستقيم الحازم والعادل، ويملأ الكراسي بالإبر القاسية، حيث يجلس المعلمون الخجولون والمتملقون، الذين لا يُعلِّمون ولا يدعون الآخرين يتعلمون.

يمكن أن يُعلّم الجمهور، بدقة أقول الجمهور، وليس الشعب. يمكن تعليمه، لأنني رأيت ركلات ل ديبوسي130 ورافيل131 منذ سنوات، وقد حضرت بعد ذلك التصفيق العارم الذي قدمه جمهور شعبي لتلك الأعمال التي تم رفضها بالركلات من قبل.

---

[130] كلود أشيل ديبوسي واحد من أشهر وأهم مؤلفى الموسيقي في فرنسا وواحدًا من أهم المؤلفين في القرن العشرين

[131]جوزيف موريس ريفل، 1875 –1937، مؤلف موسيقي فرنسي اشتهر بألحانه، والحبكة الآلاتية والأوركسترالية وآثارها التي تمتعت بها أعماله. ودخلت الكثير من أعماله الخاصة مثل البيانو، وموسيقى الحجرة، والموسيقى الغنائية والأوركسترالية ضمن مراجع معايير الموسيقى.

تم فرض هذه المعايير من قبل معيار سلطة أعلى من قبل الجمهور العادي، مثل فديكند132Wedekind في ألمانيا وبيراندييللو 133Pirandello في إيطاليا، وغيرهما الكثير.

هناك حاجة لفعل هذا من أجل مصلحة المسرح ولمجد ومكانة مؤلفي المسرحيات. يجب أن نحافظ على مواقف كريمة، مع التأكيد على أنهم سيكافؤن بالكثير الكثير.

والعكس هو الارتجاف من الخوف وراء الكواليس وقتل الفانتازيا، والخيال ونعمة المسرح، التي هي دائما، دائما، فن، وستظل دائما فنًا رائعًا، على الرغم من أنه كان هناك وقت أطلقت فيه تسمية الفن على كل ما كنا نحب، كي نخفّض المناخ لتدمير الشعر وجعل خشبة المسرح مثل ميناءarrebatacapas

الفن فوق كل شيء. الفن نبل، وأنتم، أيها الممثلون والفنانون الأعزاء، أنتم فوق كل شيء. فنانون من الرأس إلى أخمص القدمين، طبعا بسبب الحب والموهبة قد صعدتم الى العالم المُتمثل والمؤلم لخشبات المسرح، فنانون بالمهنة والقلق.

---

[132] فرانك فديكند. كاتب مسرحي ألماني. 1864 –1918. شب فديكند في سويسرا وأصبح صحافيًا، وعمل لفترة من الوقت مديرًا للدعاة في شركة ماجي. ومنذ عام 1890 أصبح كاتبًا حرًا في ميونخ.

[133] Luigi Pirandello – كاتب ومسرحي وشاعر إيطالي، حصل على جائزة نوبل للآداب عام 1934.

من المسرح الأكثر تواضعا إلى الأكثر رفعةً، يجب أن تُكتب كلمة"فن" في القاعات وغرف ارتداء الملابس، لأنه إذا لم يكن كذلك سيكون علينا أن نضع كلمة التجارة أو كلمة أخرى لا أجرؤ على قولها.

المكانة، والانضباط والتضحية والمحبة. لا أريد أن ألقنكم درسًا، لأنني في وضع يسمح لي بتلقيه.

كلماتي تمليها الحماسة والثقة. أنا لست شخصًا مخدوعًا. لقد فكرت كثيرا، وببرودة، ما أفكر به، وكأي أندلسي جيد، لدي سر البرودة لأن فيّ دمًا قديمًا.

أعلمُ أن الحقيقة لا يملكها ذاك الذي يقول:" اليوم، اليوم، اليوم"، ويأكل خبزه مع نار الفرن إنما ذاك الذي بصفاءٍ ينظر بعيدًا الى أول ضوء في فجر الحقل.

أعلم أنه لا يملك الصواب من يقول:"الآن، الآن، الآن" بعينين مصوبتين على الفم الصغير لشباك التذاكر، إنما ذاك الذي يقول:"غدا، غدا، غدا". ويشعر بالحياة الجديدة القادمة على العالم.

أغاني قبل النوم للأطفال

("نانا" الأطفال)

فيديريكو غارسيا لوركا

السيدات والسادة:

في هذه المحاضرة، لا أعتزم، كما في السابق، تحديد مفاهيم، إنما سأقدم تأكيدات؛ لا أريد أن أخطط، ولكنني أقترح. أشجع، بالمعنى الدقيق.

جرح الطيور النعسانة. وحيث توجد زاوية مظلمة، يجب أن نضع انعكاسا للسحابة الممتدة، وإهداء بعض المرايا الجيبية للسيدات اللواتي يحضرن.

كنت أرغب في النزول إلى ضفاف القصب. من تحت القرميد الأصفر. عند مخارج القرى، حيث يأكل النمر الأطفال.

أنا، في هذه اللحظة، بعيد، عن الشاعر الذي ينظر إلى الساعة، بعيد عن الشاعر الذي يصارع التمثال، الذي يصارع النوم، الذي يكافح مع علم التشريح.

لقد هربت من جميع أصدقائي، وسأذهب مع ذلك الصبي، الذي يأكل الفاكهة الخضراء ويراقب النمل يلتهم الطائر الذي سحقته سيارة.

سوف تجدونني عبر أنقى شوارع البلدة. عبر الهواء المسافر، والانتشار الخفيف للألحان التي أطلق عليها رودريغو [134]كارو Rodrigo Caro "الأمهات المبجلات" لكل الإنشاد عبر جميع الأماكن التي تفتح فيها الأذن الرقيقة للطفل، أو الأذن البيضاء للطفلة التي تنتظر، مليئة بالخوف، الدبوس الذي يفتح الثقب الى القرط.

في كل التجوالات التي قمت بها عبر إسبانيا متعب قليلا من الكاتدرائيات، من الحجارة الميتة، من مناظر طبيعية فيها روح، بدأت بالبحث عن العناصر الحية، الأبدية حيث لا تتجمد اللحظة، العناصر التي تعيش حضورا مرعبا. ومن بين اللانهايات الموجودة، فلقد اتبعت اثنتين: الأغاني والحلويات.

بينما تظل الكاتدرائية ثابتة في حقبتها، وتقدم تعبيرًا مستمرًا عن البارحة إلى المشهد المتحرك دائمًا، تقفز أغنية فجأة من ذلك الأمس إلى لحظتنا، حية ومليئة بالخفقان مثل ضفدعة. انضمت الى البانوراما مثل أكمة حديثة، تجلب الضوء الحي من الساعات القديمة، بفضل صفير اللحن.

جميع المسافرين مشوشين. لمعرفة قصر الحمراء في غرناطة. على سبيل المثال، قبل القيام بجولة في ساحاته وصالاته، يكون من المفيد أكثر، وأكثر تربويا، أن يؤكل الفاجو اللذيذ أو كيك الراهبات،

---

[134]– Rodrigo Caro رودريغو كارو

مما يعطي، مع المذاق والنكهة، درجة الحرارة الأصيلة للقصر عندما كان حيا، وكذلك الضوء القديم والنقاط الفلكية لمزاجه الجريح.

في اللحن، كما في الحلويات، تلجأ عاطفة التاريخ، نورها الدائم بلا تواريخ وبلا أفعال يأتي الحب ونسمة بلاد، في النغمات أو في عجينة نوغا التوروني135، تجلب الحياة الحية من الحقب الميتة، على عكس الحجارة، الأجراس، الأشخاص، الطابع وحتى اللغة. تجلب حياة منتعشة من الأوقات الميتة. على النقيض من الحجارة، والأجراس، والناس بشخوصها بما في ذلك لغتها.

اللحن أكثر بكثير من النص يعرّف الشخصيات الجغرافية والخط التاريخي للمنطقة ويشير بشكل حاد إلى لحظات محددة من ملف التعريف الذي محاه الزمن فالغناء الشعبي الرومانسي بالطبع ليس مكتملا مادام لا يحمل لحنه الخاص به، الذي يعطيه الدم والخفقان والهواء الفظ أو الإيروتيك حيث تتحرك الشخصيات.

اللحن الكامن مبنى مع مراكزه العصبية وأغصانه في الدم يضع حرارة حية وتاريخية على النصوص التي أحيانا يمكن أن تكون فارغة وأحياناً أخرى لا قيمة لها أكثر من تلك التي يتم فيها استحضارات بسيطة.

---

[135] توروني) بالإيطالية (torrone: أو نوغا هي حلوى تقليدية لعيد الميلاد في إسبانيا وإيطاليا، تصنع عادة من العسل والسكر وبياض البيض مع اللوز المحمص أو المكسرات الأخربو تكون على شكل قرص عادة بشكل مستطيل أو مستدير.

قبل المضي قدمًا، يجب أن أقول: إنني لا أنوي طرق المسمار في المسائل التي أتعامل معها، أنا في خط شعري، حيث الـ"نعم" والـ"لا " من الأمور هما صحيحان على حد سواء.

إذا سألتموني: "هل ليلة مقمرة قبل مائة عام تكون مماثلة لليلة مقمرة قبل عشرة أيام؟"

"يمكن أن أوضح (ومثلي أي شاعر آخر مالك لآلياته) أنه كانت متطابقًة وأنه كانت مختلفًة بنفس الطريقة وبنفس اللكنة عن الحقيقة التي لا نزاع فيها.

أحاول تجنب المعطيات البحثية التي عندما لا يكون لها جمال كبير تتعب الجماهير وبدلًا من ذلك أريد أن أركز على معطى العاطفة، لأنه بالنسبة لكم يهمكم أكثر معرفة ما إذا كان ينبع من اللحن نسيم مثقوب يحرض الحلم، أو يمكن للأغنية أن تضع منظرًا بسيطًا أمام عيني طفل تفاجأ لتوه.

لمعرفة ما إذا كان هذا اللحن من القرن السابع عشر أو إذا كان مكتوبا على إيقاع 3 على 4، أمر يجب أن يعرفه الشاعر ولكن لا يتكرر وهذا متاح حقا لجميع أولئك الذين يتفرغون لهذه القضايا. قبل بضع سنوات عندما كنت أتجول في ضواحي غرناطة سمعت امرأة من القرية تغني وهي تنوّم طفلها.

لقد لاحظت دائما الحزن الشديد لأغاني المهد في بلادنا. لكن أبدا لم تكن مثل ذلك الحين حيث شعرت بهذه الحقيقة بشكل ملموس عندما اقتربت من المغنية لكتابة الأغنية، لاحظت أنها كانت

أندلسية جميلة، مبتهجة دون أدنى درجة من الكآبة. لكن تقليدًا حيًا عمل على ذلك، وقام بالمهمة بإخلاص كما لو كانت تستمع إلى الأصوات القديمة المتجبرة، التي كانت تنزلق في دمها.

منذ ذلك الحين حاولت جمع أغاني المهد من جميع الأماكن في إسبانيا. أردت أن أعرف بأية طريقة تنوّم نساء بلدي أبناءهن وبعد فترة أخذت الانطباع بأن إسبانيا تستخدم ألحانها لتلوين أول النوم لأطفالها.

ليس المقصود أنموذجًا أو أغنية معزولة في منطقة، لا؛ جميع المناطق تبرز شخصياتها الشعرية وخلفيتهم من الحزن في هذه الفئة من الأغاني من أستورياسAsturias وغاليسياGalicia إلى الأندلس AndalucíaومورسياMurcia، مرورا بالزعفران والطريقة الرافضة لقشتالا Castilla.

هناك أغنية مهد أوروبية ناعمة ورتيبة، والتي يمكن أن يستسلم لها الطفل بكل المتعة، ويعرض كل استعداداته للنوم.

تقدم فرنسا وألمانيا أمثلة مميزة ومن بيننا، يقدم الباسكيون136 النوتا الأوروبية في أغانيهم للأطفال بغنائية مماثلة لأغاني الشمال النوردية137، المليئة بالحنان والبساطة الرقيقة.

---

[136] vasco– هو مجتمع إسباني مستقل بذاته، يعتبر من الجنسيات التاريخية، ويقع على الطرف الشرقي من ساحل البحر الكانتابري، على الحدود مع فرنسا. وهي مكونة من ثلاث مقاطعات هي فيزكايا وغويبوزكوا وألفا.

[137] Nordico– نسبة الى سكان الشمال.

أغنية المهد الأوروبية ليس لها أي غرض آخر سوى أن ينام الطفل دون أن ترغب مثل الاسبانية أن تؤذي حساسيته في نفس الوقت.

الإيقاع والرتابة لهذه الأغنيات التي أسميها أوروبية يمكن أن تجعلهم يظهرون كآبائهم، لكنهم ليسوا كذلك. هي أحزان عن طريق المصادفة، مثل تيار من الماء أو ارتجاف أوراق في لحظة معينة.

لا يمكننا الخلط بين الرتابة والملونوخيا. لبّ أوروبا ينشر الستائر الرمادية الكبيرة أمام أطفالهم كي يناموا بسلام. مناقب مزدوجة من الصوف والجرس. بأكبر قدر من اللباقة.

الهدهدات الروسية التي أعرفها من كل موسيقاهم، على الرغم من الشائعات السلافية[138] الجانبية والحزينة، ونتوء الوجنة والبعد (المسافة)، لا تمتلك الوضوح من غير غيوم الإسبانيات، ولا التحيز العميق والبساطة المثيرة للشفقة التي تميزنا. يمكن للطفل أن يتحمل حزن النانا الروسية، كما هو الحال في يومٍ ضبابي خلف الزجاج. لكن في إسبانيا لا.

[138]– eslavo السلاف، أو الصّقالبة هم مجموعة عرقية لغوية يتحدثون باللغات السلافية. يستقرون أساسًا في أوروبا الوسطى، وأوروبا الشرقية، ودول البلقان وقاموا في العصور الأخيرة باستيطان آسيا الشمالية. ينقسمون إلى سلاف شرقيين (الروس والأوكرانيين والبيلاروسيين)، سلاف غربيين (البولنديين والسلوفاكيين والتشيكيين) وسلاف جنوبيين (السلوفينيين والكروات والصرب والمقدونيين والبوسنيين والبلغار).

إسبانيا هي بلد الملامح. لا توجد حدود غائمة حيث يمكنك الهروب إلى عالم آخر. كل شيء مرسوم ومحدد بالطريقة الأكثر دقة. شخص ميت هو ميت أكثر في إسبانيا من أي جزء آخر من العالم. والشخص الذي يريد أن يقفز عن النوم يؤذي قدميه بموسى حلاق.

لا أريد أن تعتقدوا أنني جئت للحديث عن إسبانيا السوداء إسبانيا المأساوية الخ الخ فهذا موضوع خادع جدا ويفتقر إلى الكفاءة الأدبية في الوقت الحالي.

لكن المناظر الطبيعية للمناطق التي تمثلها بشكل مأساوي، وهي تلك التي يتحدث بها، الإسبانية، لها نفس اللكنة الصعبة، والأصالة الدرامية نفسها، والهواء نفسه من الأغاني التي تنبت فيه. يجب أن ندرك دائمًا أن جمال إسبانيا ليس هادئًا، حلوًا، هادئًا، بل متقدًا، محترقا، مفرطا، وأحيانًا بدون مدار.

الجمال دون ضوء، مخطط ذكي للالتفاف عليه، وهذا، أعمى من خلال تألقه، يكسر رأسه على الجدران.

يمكن العثور في المجال الإسباني على إيقاعات مفاجأة أو بنىً لحنية كاملة الغموض وقِدمًا يفلت من نطاقنا. لكننا لن نجد أبدًا إيقاعًا أنيقًا واحدًا، يعني، أنها تعي ذاتها، وتأخذ بالتطور مع الصفاء العزيز على الرغم من أنها تنبع من ذروة اللهب. ولكن حتى في هذا الحزن ثمة رزانة أو ذاك الايقاع الغاضب.

إسبانيا لديها أغان فرحة، فكاهية، طريفة، أغان شبقية ناعمة وقصائد غزلية ساحرة. كيف أبقت، كي تنادي حلم الطفل، على الأكثر دموية، والأقل ملائمة لنعومة حساسيته؟

يجب ألا ننسى أن الهدهدات قد تم اختراعها (وتعبر عنها نصوصها) من قبل النساء الفقيرات اللواتي يشكِّل أطفالهن عبئا، صليبا ثقيلا لا يستطيعون حمله في كثير من الأحيان.

كل طفل، بدلا من أن يكون سعادة، هو همٌ، وبطبيعة الحال، لا يمكنهم التوقف عن الغناء له، حتى في خضم حبهم، وتذمرهم في الحياة.

توجد أمثلة دقيقة لهذا الموقف، من هذا الاستياء ضد الطفل، الذي جاء عندما كانت الأم تريد ذلك، كان من الواجب ألا يأتي بأي شكل من الأشكال. في أستورياس**Asturias** ، يغنون هذا في قرية نافيا **Navia** (وهي من اللغة الاستورية):

هذا الوليد الصغير في اللفة

من حبٍ اسمه فيكتوريو

أعطاني ياه الله، طالت عليّ

كي لا أعاشر فيكتوريو ومعي اللفة

واللحن الذي تُغنى به هو نغمة حزينة

تتناغم مع كلماتها البائسة.

النساء الفقيرات اللواتي يعطين الأطفال هذا الخبز الكئيب هن اللواتي يأخذونهن إلى المنازل الغنية. الطفل الغني لديه هدهدة

المرأة المسكينة، التي تعطيه نخاع البلد، مع حليبها البري المعدي بالقلاع الفموي.

هذه المرضعات. مع الجاريات وغيرها من الخادمات الأكثر تواضعا، يقمن ومنذ وقت طويل بتنفيذ العمل الأكثر أهمية وهو جلب القصيدة الشعبية، الأغنية والحكاية الى بيوت الأرستقراطيين والبرجوازيين.

الأطفال الأثرياء يعرفون غراميات دون بيرناردو Gerineldo de Don Bernaldo139 وتمار140 Tamar، وعشاق تيروال141 Teruel، بفضل تلك الخادمات والممرضات المثيرات للإعجاب واللاتي ينزلن من الجبال أو يأتين على طول أنهارنا ليعطيننا الدرس الأول في تاريخ إسبانيا، وينقشن على أجسادنا الختم القاسي للعملة الايبيرية: "أنت وحيدا وستعيش وحيدًا".

لإحداث استفزاز نعاس الطفل تتداخل عدة عوامل مهمة إذا عددناها، طبعا، برضا جنيات الحكايات. الجنيات هن اللاتي تجلبن

---

[139] حكاية شعبية قشتالية تقوم على حب مفترض بين إيما، ابنة اشارلمان ملك فرنسا ومؤرخ للملك، تحولت إلى بطولة جيرينيلدو.

[140] تمار: في التوراة سفر الملوك.، هي ابنة داود ومعكة وشقيقة أبسالون، نصف شقيقة نصف لـ" آمون " من جانب الأب. الذي يقع في حبها ويحاول إغرائها، ولم يحقق ذلك فاغتصبها. أبشالوم، أخوها، سينتقم لها بقتله.

[141] تيروال إحدى مدن منطقة أراغون وسط شرقي إسبانيا وعاصمة مقاطعة تحمل نفس الاسم وهي عاصمة المقاطعة الأقل سكانًا في إسبانيا. تعتبر المدينة نقطة التقاء نهري الوادي الكبير والفمبرة.

شقائق النعمان ودرجات الحرارة. وعلى الأم والأغنية أن يكملن الباقي.

جميعنا، الذين يشعرون بأن الطفل هو أول فرجة للطبيعة، الذين يعتقدون أنه لا يوجد زهرة، لا يوجد عدد أو صمت مقارن به، جميعنا لاحظنا في كثير من الأحيان كيف، عندما ينام وحيث لا شيء ولا أحد يلفت انتباهه، كيف أدار وجهه للثدي المنشى للمرضعة (ذاك الجبل البركاني الصغير المقشعر بالحليب والأوردة الزرقاء) وحدّق بعينين ثابتتين في الغرفة الساكنة كي ينام.

"إنه موجود بالفعل!"، أقول دائما، وبالفعل."

في عام 1917 كنت محظوظا لرؤية جنية خرافية في غرفة صبي صغير، ابن عمي. دامت لجزء من مائة من الثانية، لكنني رأيت ذلك. وهذا يعني، لقد رأيتها... كما تُرى أشياء نقية، وتقع على هامش الدورة الدموية، بطرفة العين، كما رأى الشاعر الكبير خوان رامون خيمينيث142 حوريات البحر، عند عودته من أمريكا: رآها وهي تنهي غرقها.

هذه الجنية كانت تطفو على الستارة، متلألئة كما لو كانت ترتدي حلة من عيون الحجل، لكن يستحيل عليّ تذكر حجمها أو لفتاتها.

---

[142]– شاعر إسباني، حائز على جائزة نوبل للآداب في عام 1956،
Juan Ramón Jiménez Mantecón (1881–1958)

لا شيء أسهل بالنسبة لي من اختلاقها، لكنه سيكون خداعًا شعريًا من الدرجة الأولى، ولن

يكون ذلك خلقًا شعريًا أبدا، وأنا لا أريد خداع أحد. أنا لا أتكلم بفكاهة أو بسخرية. أتحدث بكل اليقين المتأصل الذي لا يملكه سوى الشاعر والطفل والساذج النقي. عند الحديث المصادف عن الجنيات أكون قد أكملت واجبي بصفتي داعية للحس الشعري، وهو اليوم مفقود تقريبا بسبب الأدباء والمثقفين، الذين أشهرو ضده الأسلحة البشرية وجبروت السخرية والتحليل.

بعد البيئة التي يخلقونها، هناك حاجة إلى إيقاعين: الإيقاع الفيزيائي(الحركة) للسرير أو الكرسي والإيقاع الفكري للحن الغناء. تربط الأم إيقاعي الجسم والأذن بتقطيعات وسكتات مختلفة، وتوائم بينهما حتى تحقق النغمة الصحيحة التي يحبها الطفل.

لم تكن هناك أية حاجة لوجود نص للأغنية. النعاس يحضر مع الإيقاع وحده ومع اهتزاز الصوت على ذلك الإيقاع. وستكون النانا المثالية هي تكرار إشارتين موسيقيتين مع بعضهما البعض، وإطالة مدتهما وآثارهما. لكن الأم لا تريد أن تكون فاتنة ثعابين، مع أنها تستخدم في العمق نفس التقنية.

إنها في حاجة إلى الكلمة لإبقاء الطفل مشدودا إلى شفاهها، وليس فقط التعبير عن الأشياء الممتعة كي يأتي النعاس، ولكنه يأتيه بالكامل في الواقع الخام وتتسلل إليه دراما العالم.

وهكذا، فإن كلمات الأغاني تتعارض مع النعاس ونهره الوديع. فالنص يثير المشاعر في الطفل وحالات من الشك، والرعب، ما يجبره على محاربة اليد التي تهز للّحن الذي يمشّط ويروِّض المهرات الهائجة التي تتحرك في أعين المخلوق الصغير.

لا ننسى أن الغرض الأساس من النانا هو أن ينام الطفل الذي لا يشعر بالنعاس. فهي أغان في اليوم والوقت الذي يرغب الطفل اللعب فيه. في تمامس[143] Tamames يغنون:

نم يا بني،
عندي ما أفعله
اغسل ملابسك
وأجلس لأخيط.

وأحيانا تقوم الأم بمعركة حقيقية تنتهي بالجلد والبكاء والنوم في النهاية. لاحظو كيف أن الطفل حديث الولادة لا يغنون له أبدًا. الطفل حديث الولادة يتسلى بالخطوط العريضة للّحن الذي يصدر من بين الأسنان، وبدلًا من ذلك، يتم إعطاء أهمية أكبر للإيقاع الجسدي، وللكرسي الهزاز. تتطلب النانا المتفرج الذي يتبع الحوادث بذكاء ويشتته بالحكاية، من طراز المشهد أو الميل نحوه الذي تعبّر عنه الأغنية. فالطفل الذي يغنى له صار يتكلم، يبدأ في المشي، يعرف معنى الكلمات وغالبًا ما يغنيها أيضًا.

---

[143] Tamames بلدة إسبانية تابعة لمقاطعة سالامانكا.

هناك علاقة حساسة للغاية بين الطفل والأم في لحظة صمت الغناء. يبقى الطفل في حالة تأهب للاحتجاج على النص أو لإحياء إيقاع رتيب للغاية. تتبنى الأم موقفا كالزاوية على الماء عندما تشعر بأنه يتم التنصت عليها من قبل الناقد الحاد لصوتها.

نحن نعلم بالفعل أن جميع أطفال أوروبا تتم إخافتهم بـ" الكوكو144 " بطرق مختلفة، وبـ" البوتي"145 والمارمانيتا146 الأندلسية، كل هذا يشكل جزءًا من هذا العالم الطفولي النادر، المليء بالأرقام دون رسم، والتي ترتفع مثل الفيلة بين حكاية مضحكة من الأشباح المنزلية التي لا تزال ترج في بعض أركان إسبانيا.

---

144 كوكا: من اللغة البرتغالية، هي أنثى المارد البرازيلي من التراث الشعبي. وهي التمساح القبيح القديم الذي يأكل الأطفال. وثمة شعبية كبيرة في البرازيل عن الهدهدة وهي:

نم ياصغيري

لأن كوكا يريد أن ياخذك

هناك ثلاث شخصيات رئيسية تستخدم للتخويف في إسبانيا هي: كوكو، وتمثل الخوف من المجهول؛ رجل الكيس، الخوف من الانفصال عن المحبوب الخوف من الموت، خاصة العنيف. البوت، وهو مرادف للسفاح "ساكامانتكاس الذي عاش في الفترة بين 1879 و1870سنتيمن قام با باغتيال واغتصاب ست نساء، أربع منهن مومسات، تتراوح أعمارهن بين 13 و55، عندما كان رجل يقوم بزيارة امرأة، لم تكن زوجته، إلى منزلها، "وحتى لا يتعرف عليه أحد، كان يلقي بطانية على كتفيه". أما الآن ف marimantas تعني الأرواح التي تأتي من "عالم آخر" لاستعادة تقاليد الأساطير التي تم إخبارها من جيل إلى جيل.

القوة السحرية لـ "الكوكو" هي على وجه التحديد ضبابيته، التي لا يمكن أن تظهر أبدًا، على الرغم من أنها تجوب الغرف، والشيء اللذيذ هو أنها تبقى غير ضبابية للجميع.

إنه تجريد شعري، وبالتالي، الخوف الذي ينتج عنه هو خوف كوني، الخوف الذي لا يمكن للحواس أن تضع حدوده المنقذة، وجدرانها الموضوعية التي تدافع، في الخطر، عن مخاطر أخرى أعظم، لأنه ليس لديهم تفسير محتمل.

ولكن ليس هناك شك في أن الطفل يناضل من أجل أن يتمثل ذلك التجريد، ومن الشائع جدًا أن يسمي "كوكو" كل الأشكال المبالغ بها والتي توجد أحيانًا في الطبيعة.

في النهاية وبعد كل شيء، يكون الطفل حرًا في تخيله. الخوف الذي يتملكه يعتمد على مخيلته، ويقدر، بما في ذلك، أن يكون له لطيفا.

لقد قابلت فتاة كاتالونية. في واحدة من آخر المعارض التكعيبية147 لرفيقي الكبير في السكن سلفادور دالي148، كلفنا

---

[147] التكعيبية: المدرسة التكعيبية هي اتجاه فني ظهر في فرنسا في بدايات القرن العشرين الذي يتخذ من الأشكال الهندسية أساسا لبناء العمل الفني إذا قامت هذه المدرسة على الاعتقاد بنظرية التبلور التعدينية التي تعدّ الهندسة أصولا للأجسام. انتشرت بين 1907 و1914، ولدت في فرنسا على يد بابلو بيكاسو، جورج براك وخوان جريس.

[148] سلفادور دالي:1904 – 1989 رسام إسباني. من أهم فناني القرن العشرين، وهو أحد أعلام المدرسة السريالية.

الكثير من الجهد لإخراجها من المكان، لأنها كانت متحمسة لـ "البابو"، "كوكا"، وقد كانت لوحات كبيرة من الألوان النارية والقوة التعبيرية غير العادية.

لكن إسبانيا ليست مغرمة بـ "الكوكا". إنها تفضل أن تخيف بالكائنات الحقيقية. في الجنوب، يوجد "الثور" و"الملكة مورا" هي التهديدات.و في قشتالة، "الذئب" و"الغجر"، وفي شمال بورغوس[149] يتم تعويض رائع للـ"كوكو" بـ"الشفق".

هو نفس الإجراء لغرس الصمت الذي يستخدم في النانا الأكثر شعبية في ألمانيا، والتي هي عبارة عن نعجة تأتي لتعضّ الطفل.

التركيز والهروب إلى عالم آخر، والتوق إلى المأوى والرغبة في وجود حد أكيد تفرض ظهور هذه الكائنات الحقيقية أو الخيالية يؤديان إلى النعاس، رغم أنه يتحقق بطريقة غير حكيمة

لكن أسلوب التخوبف هذا ليس شائعًا جدًا في إسبانيا. هناك وسائل أخرى أكثر دقة وبعضها أكثر قسوة. مرات عديدة تبني الأم في الأغنية مسرحا لمشهد مجرّد، غالبا ما يكون ليليًا، وفيه تضع، كما هو الحال في أبسط وأقدم سيارة، شخصًا أو شخصين يؤديان عملًا بسيطًا للغاية وغالبا ما يكون ذات تأثير حزين لأجمل ما يمكن الحصول عليه.

---

[149] بورغس: مقاطعة برغش– بالإسبانية Burgos– هي مقاطعة إسبانية تقع في شمال البلاد، تقع ضمن حدود منطقة قشتالة وليون. عاصمتها هي مدينة برغش، تنقسم المقاطعة إلى 371 بلدية.

من هذه السينوغرافيا الصغيرة، تمر الأشكال التي يرسمها الطفل بالضرورة، والتي تتوسع في الضباب الساخن لليقظة.

إلى هذه الفئة تنتمي النصوص الأكثر نعومة وهدوءً، والتي يستطيع الطفل من خلالها، نسبيا، الركض دون خوف.

الأندلس لديها أمثلة جميلة. إنها النانا الأكثر عقلانية. اذا لم تكن بالألحان. لكن الألحان هي دراماتيكية، ودائما لدراما غير مفهومة للمهنة التي يمارسونها، وأنا جمعت في غرناطة ستة إصدارات من هذه النانا.

إلى النانا، النانا،
إلى نانا ذاك
الذي أخذ الحصان إلى الماء
وتركه دون شرب.

في تامس150 (سالامانكا151) يوجد هذا:

أبقار خوانا
لا تريد أن تأكل.
خذوهن إلى الماء،
تريد أن تشرب

---

[150] – تامامس: بلدية وبلدة إسبانية تابعة لمقاطعة سالامانكا، في منطقة الحكم الذاتي في:

[151] سالامنكا: شلمنقة أو سلمانكا– بالإسبانيةSalamanca : هي مدينة تقع في مقاطعة قشتالة وليون في وسط شمال إسبانيا.

في سانتاندر152 يغنون:

من هذا الشارع وعلى امتداده

ثمة صقر ضائع

يقولون إنه ذهب ليحضر

حمامة طفله.

وفي بيدروسا ديل برينسيبي153 (بورغوس):

نثرت إلى حصاني

أوراق الليمون الخضراء

ولا يريد أن يأكلها

النصوص الأربعة، على الرغم من اختلافها في الشخصيات والمشاعر المختلفة، لها نفس البيئة. وهذا يعني أن الأم تستحضر منظرًا طبيعيًا بأبسط طريقة وتجعل شخصًا يمر عبره، شخصية نادرًا ما تسميها.

أعرف نوعين فقط معمدين في مجال النانا: بيدرو نيليرا154 Pedro Neleira، من فيلا ديل جرادو Villa del

---

[152] سانتاندر: مدينة إسبانية مطلة على بحر كانتابريا، عاصمة منطقة كانتابريا التي تقع بين إقليم الباسك وإمارة أستورياس. وهي مدينة وميناء ساحلي.

[153] بيدروسا ديل برينسيبي: بالإسبانيةPedrosa del Príncipe : هي إحدى بلديات مقاطعة برغش ,التي تقع في منطقة قشتالة وليون، والتي تقع في شمال غرب إسبانيا.

[154] –Pedro Neleira: عازف قربة

Grado[155]، الذي كان يحمل مزمار القربة معلقة بعصا، والمعلم اللطيف غاليندو دي كاستيلا **Galindo de Castilla**[156]، الذي لم يتمكن من الالتحاق بالمدرسة لأنه ضرب الأولاد دون أن يقلع المهماز.

تأخذ الأم الطفل بعيدا عنه، إلى البعد، وتجعله يعود إلى حضنها حتى، متعبا، يرتاح. إنها بداية صغيرة لمغامرة شعرية. إنها الخطوات الأولى في عالم التمثيل الفكري. في هذه النانا (الأكثر شعبية في مملكة غرناطة):

إلى النانا، النانا،
إلى نانا ذاك
الذي أخذ الحصان إلى الماء
وتركه دون شرب.

الطفل لديه لعبة غنائية من الجمال النقي قبل الاستسلام الى النعاس. يختفي هذا الشخص وحصانه عبر طريق الفروع المظلمة نحو النهر، كي يرجع ليتمشى حيث تبدأ الأغنية مرة وثانية، دائمًا بطريقة صامتة ومتجددة.

155– Villa del Grado: منطقة في كاتالونيا

156– Galindo de Castilla

لن يراهم الطفل أمامه أبدًا. سوف يتخيل دائما، في الغبش، البدلة الغامقة لذاك، والردف الساطع للحصان. لكن لن يتذكر أية شخصية من أغاني الوجه.

من الدقة الابتعاد وفتح طريق نحو الأماكن التي تكون فيها المياه أعمق والعصفور قد تخلى بالتأكيد عن جناحيه.

في هذا النوع من الأغنيات، يتعرف الطفل على الشخصية، وبحسب خبرته البصرية، دائما تكون أكثر مما نفترض. يرسم شكلا لهيئة الشخصية.انه مجبر أن يكون متفرجا ومبدعا في نفس الوقت، كم هو خالق رائع! خالق يمتلك حسًا شعريًا من الدرجة الأولى.

ليس علينا أكثر من أن ندرس ألعابه الأولى، قبل أن يزعجها الذكاء، لملاحظة ما هو الجمال الكوكبي الذي يستفزه، وما هي البساطة المثالية وما هي العلاقات الغامضة التي يكتشفونها بين الأشياء والأشياء التي لن تتمكن مينيرفا157 من فكها.

زر، وبكرة خيطان، وقلم والأصابع الخمسة ليده، بكل هذا، يبني الطفل عالمًا صعبًا، يمر به بتناغم لم يعرفه المغنون من قبل، ويصطدمون فيما بينهم بطريقة مزعجة، وهو يمضي بفرح لا يمكن تحليله.

[157]–منيرفا:Minerva هي إلهة العقل والحكمة وربة جميع المهارات والفنون والحرف اليدوية عند قدماء الرومان. اندمجت منذ وقت مبكر بالإلهة الإغريقية أثينا.

الطفل يفهم أكثر بكثير مما نعتقد. إنه في عالم شاعري يتعذر الوصول إليه، لا سمسرة التخيّل ولا الفانتازيا لهما مداخل؛ لمنطقة سهول المراكز العصبية، في الهواء، للرعب وللجمال الحاد، حيث الحصان الأبيض، نصفه من النيكل، ونصفه من الدخان، يسقط جريحا فجأة مع سرب من النحل مسمر بطريقة شرسة على عينيه.

بعيدا جدا عنا، فإن الطفل يمتلك الإيمان الخلاق كاملا وليس لديه بعد بذرة المنطق المدمر. إنه بريء، وبالتالي، حكيم.

يفهم، أفضل منا، شيفرة المادة الشعرية التي لا توصف. وفي أحيان أخرى تخرج الأم أيضًا إلى مغامرة مع طفلها في الأغنية.

في منطقة Guadix[158] يغنون:

إلى النانا يا بني
إلى النانا القصيرة
وسوف نبني
خصا في الريف
وفيه سندخل."

ويمضي الاثنان. الخطر يقترب. يجب تقليصه، خفضه، حيث حيطان الخص تلامس الجسد.

---

[158]– Guadix: بلدية وادي آش– بالإسبانية Guadix :بلدة تقع على نهر "فَردس" على نحو 53 كيلو مترًا شمال شرقي مدينة غرناطة. هي بلدية تقع في مقاطعة غرناطة التابعة لمنطقة أندلوسيا جنوب إسبانيا.

في الخارج يطاردوننا. وعلينا أن نعيش في مكان صغير جدًا. إذا استطعنا، فسوف نعيش داخل برتقالة. أنا وأنت. والأفضل، داخل حبة عنب! هنا يأتي النعاس، يجتذبه الإجراء المخالف لذلك البعاد. يجب تنويم الطفل، مع أنه يوجد طريق أمامه، يشبه قليلًا خط الطباشير الأبيض الذي يخطه منوم الديكة. هذه الطريقة في الإنزواء إلى داخله في حد ذاتها أحلى. فيها فرحة المتأكد على فرع الشجرة أثناء الفيضان المضطرب.

هناك بعض الأمثلة في إسبانيا، سالامانكا ومورسيا، حيث تتكلم الأم كطفل، بالعكس:

أنا نعسان، أنا نعسان،

أريد أن أنام

عين واحدة أغلقتها،

عين أخرى نصف مفتوحة.

اغتصبت مكانة الطفل بطريقة استبدادية، وبالطبع، لأن الطفل يفتقد للدفاع، يجب أن يغفو بالضرورة.

لكن المجموعة الأكثر اكتمالًا من النانا، والأكثر تكررًا في البلد بأكمله، تتألف من تلك الأغاني التي يُجبر الطفل فيها على أن يكون الممثل الوحيد لـ"النانا" الخاصة به. يتم دفعه داخل الأغنية، تمويهه ووضعه في مهنٍ أو لحظات غير سارة دائما.

هنا الأمثلة لأكثر الاغنيات، وللأكثر غننا في الدسم الإسباني، بالإضافة إلى أكثر الألحان الأصلية والأكثر مدعاة للأصالة.

الطفل يتعرض لسوء المعاملة، ويوبّخ بالطريقة الأكثر تحببا:

"اخرج من هنا، أنت لست طفلي.

أمك غجرية ".

أو

"أمك ليست كذلك.

ليس لديك سرير

أنت فقير، مثل سيدنا المسيح "

ودائما في هذه النغمة.لم يعد الأمر يتعلق بالتهديد، أو التخويف، أو بناء مشهد، لكن الطفل يُلقى فيه، بمفرده وبدون سلاح، فارسًا أعزل ضد واقع الأم.

سلوك الطفل في هذه الفئة من النانا هو الاحتجاج دائما، بحدة أكثر أو أقل، وفقا لحساسيته.

لقد شاهدت حالات لا حصر لها في عائلتي الطويلة حيث منع فيها الطفل بشكل قاطع من الأغنية. لقد بكى، و"خبطّ" بيديه ورجليه على السرير، حتى غيرت المرضعة، باشمئزاز كبير، اسطوانة الأغنية واستبدلتها بأغنية أخرى يقارن فيها نعاس الطفل بخدود الوردة.

في توربيا (Trubia)159، يغنون للأطفال هذه الإضافة، وهو درس في خيبة الأمل.

159توربيا (Trubia)

ربتني أمي

سعيدا ومبتهجا،

عندما تنومني

كانت تقول:

"إيا، إيا، إيا،

يجب أن تكون ماركيز

"كونت أو فارس"

ولسوء حظي

تعلمت مهنة السلال

أصنعها في شهر يناير

وفي الصيف

أقبض المال.

هنا هي حياة

بائع السلال الفقير

"إيا، أيا، إيا"،

إلخ. إلخ..

استمعوا الآن إلى هذه النانا التي تُغنى في كاسيريس Cáceres [160]، وهي نقاوة لحنية نادرة، والتي يبدو أنها مصنوعة

---

[160]– كاسيريس، قصرآش أو كاثيرس، هي عاصمة مقاطعة قصرش بمنطقة إكستريمادورا ذاتية الحكم في غرب إسبانيا وتعد المدينة المسوّرة موقعًا من مواقع التراث العالمي.

للغناء للأطفال، الذين ليس لديهم أم، وحيث قسوتها الغنائية ناضجة لدرجة أنها تبدو أشبه بأغنية للموت أكثر من أغنية لأول النوم:

"نم، يا طفلي، نم،
أمك ليست في المنزل،
أخذتها العذراء
كرفيقة في بيتها."

من هذا النوع يوجد الكثير في شمال وغرب إسبانيا، حيث تتخذ النانا لهجات أكثر صعوبة وبؤسا. في ورينسي 161، تغنى نانا أخرى الى فتاة بكر حيث ثدييها أعميان لايزالان ينتظران الإشاعة الموعودة لقطف تفاحتها:

"صلِّ" الآن يا طفلُ "صلِّ".
من سيعطيك الحلمة؟
إن كان والدك قد ذهب إلى الجبل،
وأمك إلى الحطب الجاف؟
نساء بورغوس Burgos يغنين:
اشرب الروم يا فتى
والدك يعمل بالفحم
وأمك بالزبدة

[161] ورينسي: هي مدينة تقع في شمال غرب إسبانيا، هي عاصمة مقاطعة أورينسي التابعة لمنطقة غاليسيا.

لا يمكن أن تعطيك الحلمة.

هاتان النانا فيهما الكثير من التشابه. أقدميتهما الجليلة واضحة بما فيه الكفاية. كلا اللحنين تمت كتابتهما كرباعيات موسيقية، حيث في داخلها يندمج بناؤها، ولبساطتهما ولتصميمها النقي فهي أغانٍ ليس لها مثيل في أي كتاب للأغاني.

أما النانا التي ينوّم بها غجر إشبيلية أطفالهم فهي محزنة بشكل خاص. لكنني لا أعتقد أنها من أصول هذه المدينة. إنها النوع الوحيد الذي أقدمه متأثرا بأغنية جبال الشمال، ولا تقدم استقلالية لحنية ناقصة السيادة، التي لكل منطقة عندما تتمكن من تعريف نفسها. نحن نرى باستمرار في كل غناء الغجر هذا التأثير الشمالي من خلال غرناطة.

لقد جمعها في إشبيلية صديق لي وهومدقق موسيقي عظيم. ولكنها تبدو أنها إبنة مباشرة لسلسلة جبال Penibetic.[162]

أما التصميم فله تشابه غير عادي مع هذه الأغنية الشهيرة في سانتاندر Santander الشهيرة:

"على هذا الرصيف

لا يمر أحد،

لقد ماتت الصبية الزغلولة،

---

162 – سلسلة جبلية تمتد من مضيق جبل طارق إلى "كابو دي لا ناو" في مقاطعة أليكانتي الإسبانية.

زهرة الوادي،

زهرة الوادي، "

الخ، وما إلى ذلك.

هذه النانا من هذا النوع الحزين التي تترك الطفل وحيدا، حتى لو أعطوه أعظم الحنان. تقول:

"ضب الماء هذا

ليس لديه أم،

ولدته غجرية.

رمته في الشارع."

ليس هناك شك في لهجتها الشمالية، والأفضل أن أقول الغرناطية، وهي أغنية أعرفها لأنني قد جمعتها، تماما كما يعلق في المناظر الطبيعية، الثلج مع فوارة الماء والسرخس مع البرتقالي. ولكن للتأكيد على كل هذه الأشياء، عليك أن تمشي بتذوق تام.

قبل سنوات، جاء مانويل دي فالا Manuel de Falla[163]، يجادل بأن أغنية الأرجوحة التي تغنى في القرى الأولى من سييرا نيفادا [164]هي بلا شك من أصل أستوري.(نسبة الى استوريا Asturia)

---

[163] – مانويل دي فايا، موسيقار أسباني أندلسي. 1876 –1946 أكثر الموسيقيين الأسبان شهرة في بدايات القرن العشرين. تمتزج في موسيقاه الشاعرية مع التصوف والحماسة ممثلةً الروح الأسبانية بأنقى حالاتها.

[164]– سييرا نيفادا: أهم سلسلة جبلية بجنوب إسبانيا.

التدوينات الموسيقية المتنوعة التي أتينا بها أكدت قناعته. ولكن في يوم من الأيام سمعها تغنى، وعندما دونها ودرسها، لاحظ أنها أغنية من الإيقاع القديم الذي يدعى**epitrito**165، وأنه لا علاقة له بالأنغام أو بالمقياس النموذجي لأستورياس. التدوين الموسيقي. وعند خلحلة الإيقاع، جعلها أستورية. ليس هناك شك في أن غرناطة لديها مكتسبات كبيرة من الأغاني من النغمة الجاليكية166 والنغمات الأسترية، بسبب الاستعمار الذي بدأه الناس من هاتين المنطقتين في ألبوجارا **Alpujarra**؛ ولكن هناك بعض التأثيرات اللانهائية التي يصعب فهمها بواسطة هذا القناع الرهيب الذي يغطي كل شيء ويطلق عليه الطابع الإقليمي، والذي يشوش ويغيم على مداخل الشيفرات، فقط يمكن فك تشفيرها من قبل فنيين عميقين مثل **Manuel de Falla**، الذي عنده أيضًا حدس فني من الدرجة الأولى.

في كل الفلكلور الموسيقي الإسباني، مع بعض الاستثناءات الجيدة، هناك فوضى غير مضبوطة في تدوين الألحان. يمكن اعتبارها غير مستنسخة موسيقيا لتلك الأغاني العديدة التي يتم تداولها. لا يوجد شيء أكثر حساسية من الإيقاع، أساس كل اللحن، أو أي

---

[165]– مزيج من مقاطع قصيرة وثلاثة مقاطع طويلة.

[166]– الجاليكية: (galego) هي لغة غرب آيبيرية، تستخدم في منطقة غاليسيا– إسبانيا– وتستخدم أيضًا في أنحاء أخرى من إسبانيا والبرتغال. وتعتبر لغة رسمية في إسبانيا.

شيء أكثر صعوبة من صوت الشعب الذي يعطي هذه الألحان ثلث نغمة وربع نغمة. التي ليس لها علامات في الصولفيج الموسيقي.

لقد حان الوقت الآن لتعويض الأغنيات المحلية المشوشة بمجموعات من اسطوانات الحاكي، لما فيها من فائدة قصوى للباحث والموسيقي.

من هذه البيئة نفسها التي لنانا "ضب الماء" (**galapaguito**)، على الرغم من أنها أكثر هزلا وأكثر تواضعا ويأسا، يوجد نوع في مورون **Morón de la Frontera**) ونوع آخر في أوسانا **USANA**)، التي جمعها **Pedrell** المتميز.

في بيخار**Béjar** ، تغنى النانا الأكثر اشتعالا، والأكثر تمثيلا لقشتالة. أغنية تبتسم وكأنها عملة ذهبية إذا ألقيناها على حجارة الأرض:

نم، يا ولدي الصغير،
نم، أنا أحرسك.
سيعطيك الله الكثير من الحظ
في هذا العالم المخادع.
سمراء(عربية) من السمراوات(العربيات)
عذراء كاستار **Castañar**
في ساعة الموت
سوف ترحمنا.

في أستورياس **Asturias** يتم غناء هذا العطر الآخر، حيث تشتكي الأم من زوجها حتى يتمكن من سماعها كطفل. ويأتي الزوج يطرق الباب، محاطا بالرجال المخمورين، في ليلة مغلقة وممطرة من ليالي البلاد. المرأة تهز مهد الطفل بقدميها المجروحتين، جرح يصبغ بالدماء الحبال الأكثر وحشية، حبال مرساة القوارب.

كل الأشغال
للنساء الفقيرات،
ينتظرن في الليالي
أن يأتي الأزواج.
بعضهم يأتي سكرانا،
آخرون يأتون فرحين.
آخرون يقولون: «يا شباب،
هيا نقتل النساء».
يطلبون العشاء،
هن ليس لديهن ما يعطونه
"ماذا تفعلين بهذا الواقع؟"
يا امرأة، ما هذا التحكم الذي عندهم؟»
إلخ، وما إلى ذلك.

من الصعب العثور في كل اسبانيا على أغنية أكثر حزنا وأكثر فجاجة في الشبق. ومع ذلك، فلدينا رؤية نوع غير عادي من النانا. هناك أمثلة في أستورياس، سالامانكا، بورغس وليون. إنها

ليست نانا لمنطقة معينة، لكنها تمتد عبر الشمال ووسط شبه الجزيرة. إنها نانا المرأة الزانية التي تغني لطفلها فتتفاهم مع الحبيب.

فيها إحساس مزدوِج بالغموض والمفارقة ما يفاجئ دائمًا عند سماعها. الأم تخيف الطفل برجل على الباب ولا يجب عليه الدخول. الأب في المنزل ولن يتركها.

اغنية أستورياس تقول:

من في الباب
لا يدخل الان،
الأب في المنزل
والطفل يبكي
الآن لا يا طفلي إيا
أيا وليدي الوالد موجود
من في الباب
ليأتِ غدا
والد الطفل
سيكون في الجبل.
أيا، وليدي، الآن لا
أيا وليدي الأب موجود.

أغنية الزانية التي تغنى في ألبا دي تورميس هي أكثر غنائيةً من الأغنية الأستورية والشعور المتلثم...

حمامتي الصغيرة البيضاء

تتجول مشتاقة في الوقت الغلط

الأب في البيت

أب الولد الذي يبكي

حمامتي الصغيرة السوداء

من الطيران الأبيض

الأب في البيت

والد الطفل الباكي

نسخة بورغيس، في "صالة دي لوس انفانتس[167] Salas de los lnfantes "،

ما أجملك

يا للسوء أن تفهم

الأب في البيت

الطفل لا ينام

إلى ال موا موا موا

يا روحي

فلتذهب...

إنها امرأة رائعة التي تغني هذه الأغاني. الآلهة فلورا[168] Diosa Flora، ذات الثدي الأرق، يصلح لرأس الأفعى. مولعة

---

[167]– Salas de los Infantes: مدينة وبلدية تقع في مقاطعة بورغس Burgos وهي منطقة ذاتية الحكم في قشتالة وليون ..Castilla y León

بالفواكه ونظيفة من الميلونخوليا169. هذه هي النانا الوحيدة التي ليس للطفل فيها أية أهمية من أي نوع.

إنها ليست أكثر من ذريعة. لا أعني، مع ذلك، أن كل النساء اللواتي يغنّينها زانيات؛ لكنهن، دون إدراك، يدخلن مجال الزنا. بعد كل شيء، هذا الرجل الغامض الذي في الباب ويجب ألا يدخل هو الرجل الذي يخفى وجهه بالقبعة الكبيرة، التي تحلم به كل امرأة حقيقية ومنفصلة.

لقد تجنبت أن أقدم لكم أنواعًا مختلفة من الأغاني، باستثناء إشبيلية، التي تستجيب لنموذج إقليمي مميز بالألحان. الأغاني التي لم تحظَ بالانتشار. الألحان الثابتة التي لا يمكنها السفر أبدا.

الأغاني التي تسافر هي الأغاني التي تبقى مشاعرها في توازن هادئ ولها هواء كوني. هي الأغاني المرتابة، والقادرة على تغيير بذلة الرياضيات للإيقاع، مرنة لللهجة ومحايدة لحرارة الشعر الغنائي.

---

[168]– فلورا باللاتينية(Flōra)، هي إلهة الورد وفصل الربيع في الميثولوجيا الرومانية. أصبحت كرمز للورد في الميثولوجيا الرومانية، وقد اشتقت منها كلمة فلاور الإنجليزية التي تعني الورد. وقد تم تصويرها أيضًا كإلهة للخصوبة وتم ربطها بفصل الربيع وأنها هي التي تظهر الخضار وتخصِّب المحاصيل، كما اعتبرت أيضًا إلهة الشباب.

[169]–المزاج الدائم من الكسل والخمول والحزن وعدم الاهتمام، الناشئ عن أسباب مادية أو معنوية.

كل منطقة لها نواة لحنية ثابتة ومنقوصة السيادة مع جيش حقيقي من أغاني الحجاج التي تدور حيث يمكنها وتمضي لتموت منصهرة في الحد الأخير من تأثيرها.

توجد مجموعة من الأغاني الأستورية والغاليثية، ملونة بالأخضر، رطبة، تنحدر إلى قشتالة، حيث تُبنى ايقاعيا وتصل إلى الأندلس، حيث نكتسب المزاج الأندلسي وتشكل الغناء النادر للجبال الغرناطية.

السيغيريا170 الغجرية من الغناء العميق 171، أنقى تعبير للغنائية الأندلسية. لا تحقق الخروج من مدينة شيريش172 أو قرطبة. في المقابل. رقصة البوليرو، لحن محايد، يرقصون في قشتالة وحتى في

---

[170] – La seguiriya: غناء فلامنكو له طابع حزين ومناسباتي وإيقاع تعاقبي، مكون من أربع مقطوعات من أبيات شعرية سداسية (ما عدا المقطوعة الثالثة، فهي إحدى عشر مقطعًا).

[171] – cante jondo "الأغنية العميقة" باللغة الإسبانية هو أسلوب صوتي في الفلامنكو، وهو شكل عذري من الموسيقى الأندلسية الشعبية. مع كتابة عميقة بحرف الخاء بدلا من الهاء كتأكيد على أحد أشكال اللهجات العينية، لأن النطق الأندلسي التقليدي حافظ على حرف الهاء الذي يكتب ولا ينطق في اللغة الاسبانية.

[172] شَرِيش (بالإسبانية Jerez de la Frontera :ومعناها شريش الحدود)، هي بلدية بمقاطعة قادس من منطقة الأندلس .وسميت بشريش الحدود لدورها التاريخيّ أثناء حروب الاسترداد .وتشتهر بصناعة نبيذ الشيري بالإنكليزيّة(Sherry)، وبالإسبانية(Jerez)أي شريش.

أستورياس. هناك يوجد بوليرو أصلي في يانيس173 Llanes، التقطها تورنر174 Torner.

اللالاس (Alalá)175 الغاليسية تضرب جدران سرقسطة ليلًا ونهارًا دون أن تكون قادرة على اختراقها، في المقابل، العديد من الحركات الطاحونية176 Muñeira، تتجول من خلال ألحان بعض الرقصات الطقوسية وأغاني غجر الجنوب. البرشلونيات، التي تصل سليمة حتى تونس.

---

[173] – يانيس بالاسبانية(Llanes):)، هي بلدية تقع في منطقة أستورياس شمال غرب إسبانيا.

[174] Eduardo Martínez Torner إدواردو مارتينيز تورنر (أوفييدو، 7 أبريل، 1888 – لندن، 17 فبراير، 1955) باحِث في تاريخ الموسيقى وموسيقار ووقائد اوركسترا في الموسيقى الإسبانية. وهو مؤلف كتاب موسيقى الأغنية الشعبية، وهو عبارة عن مجموعة تتألف من خمسمائة موضوع تعتبركنزا في الموسيقي الأستورية.

[175] Alalá هو نوع موسيقي شعبي ذو طابع غنائي تم تطويره في غاليسيا (أسبانيا). يغنونه متسلقي الجبال في شمال غرب غاليسيا ويفترض أن يكونوا من أصل شرقي وجزء من فولكلور غاليسيا. يعتبر بمثابة بقايا لغة بدائية. يتميز هذا الغناء من خلال امتناع عن المحاكاة. اشتقت المفردة من كلمة يونانية تعني البكم. يتم الغناء بالطريقة التي ينطق بها الأخرس الا لا لا.

[176] رقصة نموذجية من غاليسيا، التي ترقص على موسيقى القربة. في الأصل كان تؤدى خلال وقت الطحن وخطواتها تشبه طاحونة. تأتي الكلمة من اللاتينية molinum (مطحنة).

وقد أحضرها العرب إلى غرناطة، فانها قد خضعت بالفعل لتغييركامل في الإيقاع والطابع عند وصولها إلى لامانشا la Mancha، ولم تتمكن من تجاوز Guadarrama.

في نفس النانا التي أتحدث عنها، أثرت الأندلس بسبب البحر، لكنها لا تستطيع الوصول إلى الشمال، كما في أنواع أخرى من الأغاني. المزاج الأندلسي للنانا يلونّ منخفضات ليفانتي177، حتى بعض (فو فيو باليار178 ,vou–vei–vou balear) في كاتالونيا، مرورا بقادس حتى تصل الى جزر الكناري، حيث نانا الأرورو arroró اللذيذة هي بلا شك احدى لهجات بيتيكا Baetica179.

يمكننا أن نصنع خارطة لحنية لإسبانيا، ونلاحظ فيها انصهارًا بين المناطق، وتغييرًا في الدم والعصائر التي نراها تتواءم في انقباض القلب وانبساطه في فصول السنة.

سنرى بوضوح هيكلا عظميا للهواء غير القابل للكسر الذي يوحد بين مناطق شبه الجزيرة، هيكل عظمي غير مستقر عن

---

[177] – Levante: جزء أسبانيا الأقرب إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط.

vou–vei–vou balear [178]: (أغنية مهد للأطفال، تعرف أيضًا باسم: شمس ما بعد الظهيرة) تعود إلى عام 1887، كتبها الموسيقي Honorat Noguera، = =والذي يُعرف بأنه والد الموسيقار المتميز أنتوني Balaguer Noguera وليس لمزاياه الخاصة.

[179] Bética: أخذت اسمها من نهر بيتيس وتسمى حاليا الوادي الكبير، كانت إحدى المقاطعات الرومانية التي كانت موجودة في شبه الجزيرة الايبيرية، أطلق عليها الرومان اسم هيسبانيا.

المطر، بحساسية الحلزون الاكتشافية، كي تلتقط في مركز أدنى غزوًا من عالم آخر، وتعود لتتدفق خارِج خطر الشيخوخة والجوهر الكامل لإسبانيا.

فدريكو غارثيا لوركا

(Federico Garcia Lorca)

ولد في 5 حزيران 1898، في قرية فوينتي باكيروس (Fuente Vaqueros)، إحدى ضواحي غرناطة، ويعتقد أن أصول ساكنيها تعود إلى العرب. وعنها يقول:

"في هذه القرية كانت لي أول أحلام اليقظة

وفي هذه القرية سأكون ترابًا وورذًا".

عاش في الريف حتى الثامنة من عمره، وانتقل مع عائلته إلى غرناطة حيث تابع دراسته، التي يقول عنها: "درست كثيرًا لكنهم أعطوني رسوبات هائلة... وفي المقابل ربحت شعبية سحرية وأنا أضع تشابيه وألقابًا للناس".

في عام 1915، سجل في الجامعة في كلية الفلسفة والآداب، التي لم ينهها أبدًا، لكنه تخرج في كلية القانون من جامعة غرناطة. في هذه السنوات نمى لديه عشق كبير للموسيقى. وظل يواظب على التردد على مقهى ألاميدا (Alameda) ضمن جماعة ثقافية من شعراء وفنانين. في عام 1917، ينشر في مجلة "آداب" الغرناطية مقالات تحت عنوان "انطباعات من الحياة"، وفي العام اللاحق ينشر كتابا بعنوان" انطباعات ومشاهد". وهو أول أعماله النثرية. في عام 1919 يذهب إلى مدريد ليكمل دراسته الجامعية، فيقيم في سكن

مدريد الجامعي، حتى عام 1928، وهو لا يزال يتابع دراسته. وفي هذه الفترة تعرف على سلفادور دالي، ورفائيل ألبرتي، وآخرين.

أصدقاؤه في السكن الجامعي يقولون عنه إنه الرفيق المثالي، كان جاهزًا دائمًا ليرفع المعنويات وتنظيم أي شيء، مع أنه كان صاخبًا ثرثارًا واحتفائيًا.. ومع ذلك، كان نقاده ينشرون عنه أنه شخصية حزينة انعزالية، مولع وقلق بالجمال والاكتمال.

تم الحديث عن تأثر أعماله بإحباطاته الجنسية، لكن يجب ألا ننسى توجسه وحذره الشديد لكل ما كان يؤلفه، وكذلك لوعته وهو يبحث عن الكمال. عدم الرضا ومتطلباته الشخصية كان يضعهما جميعها من أجل الصراع للفوز والنجاح، وهما قد حالفاه.

حماسته للشعر اكتملت منذ طفولته مع ولهه بالمسرح. وفي عام 1920 يجرب في المسرح ويقدم مسرحية "تعاويذ فراشة" وقد فشل بها. وبعد عام نشر قصائده الأولى في كتاب بعنوان "كتاب القصائد"... وفي عام 1922 ينظم حفلة "الغناء العميق" بالاشتراك مع مانويل فايا. لكنه لم يحقق نجاحه الشعري الا بعد عام 1928 عندما نشر "رومانسية غجرية" الكتاب الذي اشتهر سريعًا في وقت وجيز. وخلال فترة قصيرة من زيارته لكاتالونيا يرسم لوحات فنية ويعرضها في غاليري دالماو في برشلونة، يزور إشبيلية ليشارك في حفل تخليد غونغرا، وهناك يتعرف على شعراء عدة وأهمهم الشاعر ثيرنودا.

في تلك الفترة انسجم كليًا مع شعراء جيله وبالأخص أليخاندرو، وثيرنودا. وحقق نجاحه الأول في المسرح مع ماريانا بينيدا.

يسافر إلى نيويورك، ومن هناك يزور كوبا وكندا، حيث نشر كتابه "شاعر في نيويورك" وكذلك نشر كتاب إرشاد سينمائي بعنوان "رحلة إلى القمر" وعمله الكوميدي "معجزات (امرأة) سكافية" التي تم تمثيلها عند رجوعه إلى مدريد في 1930.

في سنوات الجمهورية (1931 حتى 1936) يشكِّل لوركا المسرح الجامعي باسم (لا بارراكا – الكوخ) بهدف تقديم الأعمال المسرحية الكلاسيكية وإيصالها إلى القرى النائية، وكان لوركا يدير هذا المسرح مع "إدواردو أورغاتي"، وقدم أعمال الكاتب لوبي دي فيغا، مثل: (شيفرة الأغنام، السيدة البلهاء) وكذلك (محتال إشبيليا للكاتب تيرسو و("الحياة حلم" للكاتب كالديرون).

في عام (1933–1934) يسافر إلى الأرجنتين والأورغواي ليلقي محاضراته ومنها هذه المحاضرة التي ترجمناها هنا، وليحضر تقديم مسرحياته "معجزات اسكافية" و"عرس الدم" وكذلك مسرحية "يبرما". في هذه السنة تحديدًا يكتب مرثية لمصارع الثيران أغناثيو سانشيث ميخياس

كذلك زار فرنسا وبريطانيا. ولم يكن مهتمًا كثيرًا بالسياسة، لكنه كان من أنصار الجمهورية، وقبل أيام قليلة من اندلاع الحرب الأهلية وصل لوركا إلى غرناطة ليقضي فصل الصيف.

شقيقته كونشا غارثيا لوركا تتذكر ذلك: "فدريكو، وكإجراء احتياطي، فلقد ذهب إلى بيت أصدقاء من عائلة روساليس، أناس رائعون. لكنهم كانوا ينتمون إلى الفلانج/كتائب فرانكو. وعندما

اندلعت الحرب الأهلية سألت فدريكو: فدريكو إياك أن تتكلم في السياسة، لأن الناس يقولون إنك شيوعي. هل هذا صحيح؟ وبدأ فدريكو في الضحك، وقال: كونشا يا صغيرتي! كونشا! انسي كل ما يقوله الناس، أنا أنتمي إلى حزب الفقراء، لكن بناء على ما كان يقوله الناس فكرنا أنه من واجبنا أن نخبئ فدريكو في بيت روساليس، فلقد كان هذا المكان هو الأكثر أمنا في كل غرناطة.

لكنه ألقي عليه القبض وتم إعدامه بالرصاص من قبل قوات الكتائب التابعة لفرانكو. في 19 آب 1936، ابتدأت حياته من عام الكارثة إلى عام الحرب الأهلية التي كان إحدى ضحاياها. وبعد الحرب احتسب لوركا رسميا كشاعر سيئ وملعون.

ملحق الصور



أنطونيو دي لونا، مانويل دي فالا، فيديريكو غارسيا لوركا وخوسيه مانويل سيجورا صيف 1926



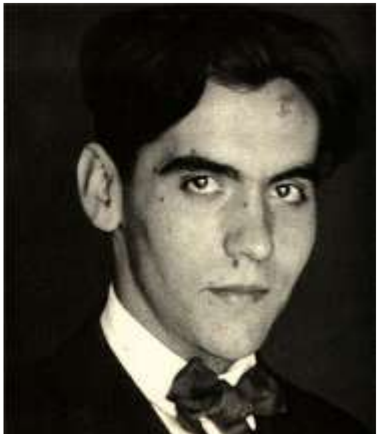
فيديريكو جارسيا لوركا



فيديريكو جارسيا لوركا بدون شوك ـ أنطونيو غويارو



مع سلفادور دالي





مع سلفادور دالي





توقيع الطالب فدريكو غارثيا لوركا





طائر الفلامنكو



راقصة الفلامنكو







Clavando un par de banderillas

بيكاسو







بيكاسو يعزف فلامنكو

الفهرست